13me Année No. 511

Lundi - 5 - 10 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٤١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢ ذو القعدة سنة ١٣٦٤ — ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

بول فالـــيرى

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان كاتب الخاصة ، لأنه لم يكن كاتب العامة وأشباه العامة

وهو لم يكن كاتب العامة وأشباههم ، لأن هؤلاء يطلبون السهولة فى التعبير والتفكير ، وليس هو يسهل فى تعبيره وتفكيره ، بل كان لا يخلو من الغموض والتعقيد ، ولا يهبط فى أسلوبه عن مرتبة الجزالة والإتقان

والعامة وأشباههم يتاقون لشيء من الرعونة والهوج فى بدعة من البدع أو دعوة من الدعوات ، وليس هو بصاحب رعونة أو هوج ولا بصاحب بدعة تصدع الأسماع أو دعوة تخلب العقول وتهيج الخواطر ، بل كان أكثر ما يكون موفور الجد والرصانة ، مكبوح العنان

والعامة وأشباههم ينقسمون بين المعركات والميادين ، وليس هو من رواد المعركات والميادين ، بل كان كريماً على نفسه وعلى صحبه مؤثراً لعزلة الفكر وعزلة المقام

ولا أحسب أن نصيراً من غلاة أنصاره يدعى له مزية الخصب والإشراق فى نتاجه ، ولكنى كذلك لا أحسب أن مخالفاً من مخالفيه ينكر عليه مزية المتانة والسداد فى جملة آثاره من شعر ونثر ومن قصة ومقال . فهو متين سديد رصين ، وإن لم يكن باللامع ولا بالمخصب أو المرتفع فى الآفاق

ذلك بول فاليرى فقيد الأدب الفرنسى فى أواخر هذا العام ، بعد أن فقد فى أوائله رصيفه رومان رولان

* * *

والخاصة التى أعنيها هنا هى الخاصة الاجتماعية ، وليست بالخاصة الفكرية أو الفنية

وشأن هذه الخاصة الاجتماعية فى فرنسا ليس بالقليل ، فهى حتى اليوم صاحبة الكلمة التى لا تجهل فى نصيب القادة العسكريين والقادة الفكريين ، وفى الترشيح لرئاسة الجمهورية وللمجامع العلمية والأدبية ، وهى بقية من بقايا النبلاء على عهد الامبراطورية قد تنزوى عن الأنظار ، وقد تغض الصوت حيناً بين جلبة السواد وصيحة المغرقين فى التجديد ، ولكنها رابضة أبداً فى مكمنها للوثوب إذا حانت لها فرصة الوثوب ، ولعل وثبة بيتان باسم المحافظة على القديم لم تكن إلا رجعة من رجعات هؤلاء الخاصة الاجتماعيين فى عاصمة الفرنسيين

هؤلاء الخاصة الاجتماعيون « سلبيون » فى أكثر الأذواق والآراء ، ولم تبق لهم قدرة قوية على الإيجاب والأنجاب

فهم مثلا لا يعجبهم ما يعجب الدهماء والأوساط من الخفة والاندفاع ، وهم لا يشاركون الجماهير فى أذواق البدع وبهارج

الحداثة ، وهم لا ينطلقون فى الضحك ولا فى الحزن ولا فى الغضب ولا فى الهياج إلا بمقدار ما يسمح لهم أدب الصالون وشعائر النبل والوقار

أما إنهم يرتفعون إلى الأفق الأعلى فى التفكير والتقدير فليس ذلك عندهم بمضمون ، وقد يضحون بالجمال الحى الرفيع أحياناً فى سبيل الجمال الذى توحى به التقاليد

وهذه كلها خصال ترشح « بول فاليرى » عند هذه الطبقة للقبول والظهور ، ويزيده قبولا عندها أن تعلو فى سماء الأدب الفرنسى نجوم باهرة لا تلتزم ذلك السمت الصحيح أو السمت المصنوع .

* * *

لم يقصد بول فاليرى أن يكون على شرط هذه الطبقة فى الأساليب ، ولا أن يكتب وفاقاً لمزاجها الذى تروضه على السمت أو تصطنع فيه الوقار . ولكنه لو قصد هذا لما كان أقرب إلى مزاج تلك الطبقة مما كان ، لأنه طبع على الرصانة وجاءه التعليم رفد منها يتمم ما جادت به الطبيعة عليه . فقد تعلم الرياضة ونشأ على نظام رجال البحر وقرأ الحكمة وشغف بأسلوب الأقدمين ، فجنحت به السليقة والنشأة إلى ذلك السكون ، وأصبح كاتب العلية الاجتماعية ، شاء ذلك أو أباه ، واستفاد عند غير هذه الطبقة كرامة وعجبة لا كلفة فيها ، لأنه لم يكن يخاصم أحداً على سمعة أو شهرة ، ولم يكن يبالى الخصومة إذا عرضت له معتدية عليه !

إلا أنه كان يشعر بصفاته هذه ولا ينساها حين يقيم الموازين للشعر المأثور والأدب النفيس ، فلم يكن يغفل عن شرط «الكبح» والاحتجاز فى تعريفاته الفنية ، ولم يكن يأبى النفس من مزية التدفق والإفاضة ، لأنها تلتبس أحياناً بالتفيهق والثرثرة فى غير جدوى

فإذا عرف الشعر قال : « إنه ينبغى أن يكون عيداً للذهن ، ولا ينبغى أن يكون شيئاً غير ذلك »

ولكنه يعود فيقول : « عيد أى فرح . ولكنه رصين ، ولكنه مرتب ، ولكنه ذو مغزى . أو هو صورة لغير هذه المطروقات الشائعة ، أو صورة للحالات والمساعى التى تقبل الانتظام والاتزان ... »

ولا يستثنى من ذلك الشعر الغنائى الذى هو أدنى أبواب الشعر إلى الطلاقة والجموح ، فهو عنده « هتفة » ، ولكنها متطورة أو « مشغولة » بصناعة الفنان

ويقول فى التفرقة بين الملكات الكامنة والملكات المكشوفة: « فى طبع كل منا حماقة الخطأ بين المفارقة والاكتشاف ، وبين الصورة المجازية والبرهان ، وبين سيل دافق من العبارات وينبوع يفيض بالحقائق الكبرى ، وبين ما نحسه نحن وما ينطق به لسان الغيب ... »

وقد كان مزاجه من طبيعة العزلة والانطواء فيه ، فكان لانطوائه على نفسه ينتزع من أحوالها القواعد والأحكام ، ويعطيك الشواهد على سرائره الشخصية من معظم ما كتب بعد الروية والتفكير ؛ فلا أعرف فى المحدثين كاتباً تظهر أسبابه الشخصية فى أسبابه الفكرية كما تظهر فى هذا الكاتب على التفكير

رجعت إلى بعض آثاره التى عندى بعد السماع بنعيه فقرأت منها مقاله القيم عن الإنسان الأوربى وهو من تحفه المعدودة التى يقل فيها التعقيد والغموض ، وقد بدأه بكلمة عن « الإنسان » عامة قال فيها : إنه هو المخلوق الذى ينفرد بين سائر المخلوقات ، ويعلو على سائر المخلوقات بالأحلام ، وإنه أبداً مصروف عما هو كائن بما لم يكن بعد ، أو بما يرجو أن يكون ، وإن الخلائق الأخرى تطيع التغيير الذى يطرأ عليها من خارجها ، وهو وحده يطوّع تلك العوامل المتغيرة بما توحيه إليه بواطنه وخفاياه

ثم استطرد من هذه المقدمة إلى حصر الإنسان الذى ينشئ الأحلام فى الزمن الحديث بين سكان قارة واحدة هى القارة الأوربية ، وإلى حصر الشخصات التى خلقت قوام ذلك الإنسان فى ثلاثة مراجع ، وهى رومة أو نظم الدولة الرومانية ، والمسيحية التى ورثت كل شىء من رومة لا من بيت المقدس ، ونموذج العلم النظرى الذى يتمثل فى الهندسة الإغريقية ... »

ولا يعنينا هنا أن نناقش هذه الفلسفة من جانب النقد أو جانب الوقائع التاريخية ، وإنما يعنينا أن نعقد الصلة بينها وبين مزاج الانطواء والعزلة «والتفكير الذاتى» الذى انطبع عليه بول فاليرى

فهناك بول ڤاليرى الذى يتغنى بالأوربية كما تتغنى بها جميع أقوام القارة التى ضاعت عليها فرصة التغنى بمجدها القومى منذ زمن بعيد أوقريب . فهم يذكرون دائماً أنهم أوربيون حين يذكر الألمان أنهم آريون ، أو يذكر الإنجليز أنهم من سلالة الإنجلوسكسون ، أو أنهم بريطان « غير قارين »

وهناك بول ڤاليرى الذى يرجع بكل شئ فى أوربا وفى المسيحية إلى رومة لأنه جاء من أب فرنسى وأم إيطالية ، وكلاهما من عنصر اللاتين .

وهناك بول ڤاليرى الذى يجعل الهندسة الاغريقية نموذج العلم الإنسانى لأنه هو درس الهندسة واستوهب الكثير من آثار حكماء اليونان .

وهذه هى بعض دلائل المزاج التى تنطوى بين السطور ، فضلا عن دلائله التى تبدهك منه بغير تنقيب طويل .

* * *

لست أنسى خيبة الأمل التى فجأنى بها بول ڤاليرى فى أول عهدى بالطالعة الفرنسية ؛ فإننى تعلمت الفرنسية فى السجن فاستطعت بعد أربعة أشهر أن أقرأ أناتول فرانس وبيير لوتى واندريه موروا بغير مشقة أو رجوع كثير إلى المعجمات الميسورة ؛ فخيل إلى أننى قد استغنيت عن المترجمات فى قراءة الأدباء الفرنسيين من محدثين وأقدمين . ثم جربت هذه المعرفة بعد خروجى من السجن فى اندريه جيد وبول ڤاليرى فاذا بى أرجع إلى المترجمات الإنجليزية ولا أزال أرجع إليها حتى اليوم .

وأحب أن أقول إننى أرى فى أدب « بول ڤاليرى » رأيا لا يمتزج بمرارة تلك الخيبة لأنه لم يذهلنى عن محاسنه ولم يحملنى على المبالغة فى عيوبه .

فالرجل لا شك مثل ممدود من أمثلة الثقافة الفرنسية فى القرن العشرين ، وله ولا شك رأى رجيح وقول رصين وتفكير قويم ، ولكننى لا أذكر أننى اطلعت فى كلامه الذى قرأته — وهو غير كثير — على فكرة رائعة أو غوصة عميقة أو نفحة تتجاوز طاقة الأوساط من الكتاب ، فهو متين راسخ على وجه الغبراء ، ولكنه لا يحسب بين أصحاب الأوج ولا بين أصحاب الأعماق .

وله نظرات فى نقد الأدب والأدباء يقرأها القارىء فيقول صحيح صحيح ! أو جميل جميل ! ... ولكنه لا يراع بها ولا يفاجأ بها ولا يخرج بها عن الجادة المطروقة إلى معرج غير مطروق .

ومن الأمثلة الصادقة لاسلوبه فى النقد وصفه لاناتول فرانس — وقد خلفه فى المجمع الفرنسى — فقال عن كسله الحالم « إنه كسل نجم من القراءة الواسعة التى يصعب التفريق بينها وبين الدرس والاستقصاء . أو هو كسل كراحة السائل الوقر بخبراته وبركاته يليح لك فى سكوته بلورات على أحكم ما تكون من كمال التركيب ... »

وأنت تقرأ هذا وتقرأ أمثاله فى كلامه على الأدب والأدباء فتقول صحيح صحيح ! جميل جميل ! ... ولكنك لا تقف فى طريقك مرة لتقول : آه . ويح الكاتب الساحر . . ! من أين له هذا الكلام ؟

عباس محمود العقاد

الإدارة الهندسية القروية بسوهاج

تعلن فى المناقصة العامة إنشاء مجموعة صحية بناحية الشيخ مرزوق مركز البلينا وتطلب الشروط من الإدارة الهندسية بسوهاج على ورقة تمغة فئة ٣٠ مليم نظير مبلغ ١ جنيه و٥٠٠ مليم وأجرة البريد ١٠٠ مليم .

ويمكن للمقاولين الاطلاع على الرسومات من الادارة بسوهاج أو من مصلحة الشئون القروية ٤١ شارع نوبار بمصر

وتحدد آخر ميعاد لقبول العطاءات بسوهاج ظهر يوم ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٤٥ ٤٢٨١

ليذكر الأسبان

للأستاذ توفيق محمد الشاوى

لعل الشعب الأسبانى هو آخر شعب يحتاج إلى من يثبت له عظمة العنصر العربى وسمو الحضارة الإسلامية ، لأن وجوده ونهضته التى سبق بها جميع الشعوب الأوربية ، وكانت رائد النهضة الأوربية الحالية هى ربيبة تلك الحضارة الإسلامية العربية التى نعمت بها الأندلس زمنا طويلا ، وعاشت فى ظلها عصراً ذهبيا سجل التاريخ مفاخره برغم تداول الأيام وانتقال السلطان .

لكن أسبانيا قد انساقت فى هذا العصر فى تيار الاستعمار الأوربى ، وسيطرت على قادتها المادية الاستغلالية ، وآثرت أن تنسى التاريخ ، وأن تدفن الماضى ، وأن تشترك فى الغارة الأوربية على أجزاء الوطن العربى ، فسلم لها شركاؤها الاستعماريون جزءاً هاماً من وطننا الأفريقى فى المغرب ، سارت فيه على خطة جارتها فرنسا فحاولت أن تحطم القومية العربية بكل الوسائل الاستعمارية الوحشية ، غير عابئة بمبادىء الإنسانية والمدنية . علمت أن العربى لايقيم على الذل ولايصبر على الضيم ، فسول لها شياطين الاستعمار أن أسهل الطرق هو إفناء هذا الشعب الأبى العنيد ، وليفعل التاريخ ماشاء بعد ذلك .

ثم جاءت النتيجة المحتومة للتكالب النفعى الأوربى ، أن انقلب الماديون على أنفسهم ، وأغرى الجشع بعضا ببعض ، فتفرقت الطبقات ، وتقابلت العصابات ، واشتعلت الحرب الأهلية الاسبانية ، فاستعان الجنرال فرانكو بعرب المغرب ، وبذل لهم وعوداً خلابة ، ومناهم بالاستقلال الذى جاهدوا له . ولم يقصر دعايته على المغرب ، فأرسل إلى رئيس المؤتمر الإسلامى الذى عقد بالقاهرة فى ذلك الحين ، الدكتور عبد الحميد سعيد ، خطاباً تاريخيا مؤيداً لوعوده وتصريحاته « بأنه عندما تثمر شجرة السلام فسيقدم للمغرب العربى منها أطيب الثمار » ... وظن العرب أن الواعد عربى يعرف معنى الشرف ، ويحترم قدسية العهود ، ونسوا أنه رجل أوربى ينسى كل شىء فى سبيل مطامعه وأهوائه . جاء النصر بفضل مساعدة العرب وانتظر العرب والمسلمون طويلا تحقيق الوعود والعهود ، فإذا سياسة الاضطهاد تستأنف وتزيد ، وخطة الأفناء الوحشية تبدأ من جديد ، وإذا الشرف يتوارى وتحل محله « المصلحة » ، تتذبذب السياسة بين الشدة واللين بحسب ما توحيه ظروف السياسة ومصلحة الاستعمار . وآخر ما سمعناه أن أسبانيا لم تعد تطيق كلمة « العروبة » فهى تحاربها فى كل ناحية تتوهم أنها تذكيها ، حتى إن أعضاء البعثة المغربية فى جامعات مصر قد عادوا إلى بلادهم هناك ، فوجدوا أبواب السجون مفتحة لهم ، وسبل العمل موصدة فى وجوههم ؛ وكل ذنبهم أنهم عرب تعلموا فى مصر ، وأن مصر تحمل لواء العروبة وأن العروبة شجى فى حلق الاستعمار .

أيها الأسبان ! تستطيعون أن تتناسوا عهودكم ومواثيقكم التى بذلها زعيمكم وارتبطتم بها ، وتستطيعون أن تنسوا مبادىء المدنية التى تحمى حقوق الأمم وحريات الشعوب ، وأن تنسوا التاريخ وما سيكتبه عن استعماركم الوحشى الغاشم ، وأن تنسوا أيضا ما للعرب عليكم وعلى أوربا من فضل بما علموكم وبما هذبوا من نظمكم وآدابكم ... تستطيعون أن تنسوا كل هذا ، ونستطيع نحن أن نصدق أنكم نسيتموه مادمتم تتوهمون مصلحتكم فى هذا النسيان ، ولكن شيئاً واحداً لا نظنكم تستطيعون أن تنسوه ، هو قوة هذا الشعب العربى الأبى وبطولته ، واستبساله فى الدفاع عن كرامته وحريته . تذكروا أن ضربات ابن عبد الكريم لا زالت جراحها فى كل بيت من بيوتكم وكل أسرة فى بلادكم ، وتذكروا أن ابن عبد الكريم لا يزال حيا ، وإذا مات فإن الشعب الذى أنجبه لا يزال حيا قويا قادراً على استئناف جهاده وتضحياته .

أيها الأسبان ! تذكروا مرارة قتال العرب وما يكلفكم من ثمن ، وأن فرنسا التى أنقذتكم من ابن عبد الكريم قد تعجز عن انقاذكم مرة أخرى ، وأن للعالم اليوم أذنا تسمع وعينا تبصر ، فلن تسكت على وحشية الاستعمار التى تسلحتم بها لستر ضعفكم وجبنكم . تذكروا كل ذلك لا لوجه الإنسانية

على هامش « الحادث » :

دفاع عن الأدب

الأستاذ على الطنطاوى

لقد كانت معركة (عين جالوت) مثلا ، أجل خطراً ، وأعظم أثراً ، وأبرك على الحضارة ، وأجدى على الإنسانية ، من موقعة (الحدث) ، ولكنها لم تجد الشاعر المارد الجبار الذى ينهض بها ، ويرفعها بيمينه يلوح بها فى طريق التاريخ ، ليراها الناس أبداً ، أمة بعد أمة ، وجيلا عقب جيل ، كما صنع المتنبى بموقعة (الحدث) حين فتح لها فى الشعر فتحاً ولا فتح سيف الدولة فى بلاد الروم ، وبنى لها فى البلاغة صرحاً ولا ما بناه الحمدانى (فأعلى والقنا يقرع القنا ، وموج المنايا حوله متلاطم)، بنى هذا البيت وإنه لقلعة باقية، على حين قد خرب الدهر تلك القلعة ، فكان من معجزات الشعر (وإن فى الشعر لإعجازاً) أن خلدت هذه الموقعة ، وجلت وملأت الأسماع والأفواه والقلوب ، ونسيت مواقع أعظم منها ، ولولا قصيدة ابن الحسين ما عرفت طريق الخلود .

ولقد كان فتح عمورية عظيما فى الفتوح ، ولكن فتح حبيب فى بائيته أعظم منه . ومن قبل خلدت بلاغة هوميروس بطولة القوم فى طروادة ، ولولاه لضاعت فى ظلام ما قبل التاريخ . وإنى لأكرم القراء أن أسىء بهم ظنى فأرى بهم حاجة إلى سرد الأمثلة ، وإقامة البينات ، على أمر ما بهم جهله ولا نكرانه ، فلولا الأدب ما خلدت المكرمات ، ولا ذكرت البطولات . ورب قصيدة تحيش بها نفس شاعر منكر مجهول ، قد شغل الناس عنه سناء الأمير ورواؤه ، أبقى على الدهر من هذا السناء وهذا الرواء . وربما جاء زمان نسى الناس فيه الأمير نفسه ، فغاص فى هذا النهر البشرى الذى يجرى أبداً من المهد إلى اللحد ، يولد أهله ويعيشون ويموتون ولا يدرى بهم أحد ولا يذكرهم إنسان — ولم يسمه من الخلود إلا النفحة التى ينفحه بها الشاعر .

هذا حق لا يجهله أحد إلا ذوى السلطان منا ، وكانوا هم أولى بمعرفته والاستفادة منه ، والأحداث تدعوهم إلى ذلك ولكنهم لا يجيبون . وها هو ذا حادث الشام القريب ، أحبوا أن يدونوا تاريخه ، ويعرفوا صوره ، ويعرفوا به البعيد النائى ، ويذكروا به القريب الرائى ، فأجمعوا أمرهم على إخراج (الكتاب الأسود) فى وصف هذا الحادث ، وسموا له رجالا ، طيبين ممتازين ، غير أنهم ليسوا من ذوى الأقلام ، ولا من الأدباء ، وإن فى دمشق (لو كانوا يعلمون) أقلاما حداداً ، إذا انتضتها الحكومة قطت بها وقدت وفرت ، فلم تدخر هذه الأقلام إن لم تستل فى هذا اليوم الأسود ؟ ومن يعرض على الدنيا كلها حديث (الحادث) إذا أهملت هذه الأقلام ، ونسيت وتركت تصدأ فى أغمادها ؟ أيعرضه سحق بمقالة تعيش ما عاش (المعد) الذى تنشر فيه ، أم موظف بتقرير أسلوبه لعنة للبلاغة فى علمائها ؟

والمدنية ، ولا خشية التاريخ وحكمه ، ولا حرصاً على المهد وتمسكا بالشرف ، فهذه لغة قد لا تفهمونها الآن ... ولكن اذكروه لمصلحتكم أنتم ، فإن نسيانه سيكلفكم من الضحايا عدداً لا تستطيعون تقديره ، وسيكون النصر أخيراً للحق والمدافعين عن حقوقهم وحرياتهم .

أيها الأسبان ! تذكروا أن الجشع الاستعمارى الذى يسيطر عليكم ليس إلا عرضا من أعراض الكلب المادى الذى أصيبت به أوربا ، وأنكم إن لم تقضوا عليه فسيقضى عليكم ، وقد بدرت بوادر الشقاق والجنون النفى الذى سيحطم أركان حضارتكم إن لم تنقذوا أنفسكم منه . تذكروا أن القدر قد يلقى عليكم درساً عاجلا فى احترام الحقوق والحريات ، وأن هذا الدرس قد يكون على أيدى العرب ، أساتذتكم وأساتذة أوربا منذ عرفتم النور ؟

توفيق محمد الشاوى
مدرس بكلية الحقوق — جامعة فؤاد

ثم استلمنا الجيش وعرضه رئيسنا فكان يوماً أغرّ محجلاً في عمر الشام، فمن يمسك هذا اليوم ألاّ يهوى في وادي النسيان؟ من يحفظ له جلاله وجماله وعظمته غير الأدباء؟ فما لأولي الأمر دعوا له كل قاص ودان إلا أهل الأدب الحق؟ أهل البلاغة، ما دعوهم ولا سألوا عن مكانهم ولا ذكروهم، ولو دعوا أديباً لصنع لهم عقالة واحدة شيئاً يبقى إذا ذهب كل هذا الذي أعدوه.

وفي كل يوم تنبت أقلام غضة فلا يتعهدها أحد بسقي ولا رعاية فتجف وتموت. وتحطم عواصف الأيام وأرزاؤها أقلاما متينة كأشجار السنديان طالما أظلت وبسقت فلا يبكي عليها أحد. وتزهر أقلام ثم تؤتي أكلها ثمراً ناضجا حلواً نافعا فلا يستبشر بها أحد، ويقولون بعد ذلك لماذا لا ينتج الأدباء؟ لماذا لا يخلدون أيام الوطن؟ يا ويحكم! إننا والله لا نعرف أيام الوطن إلا على السماع، والفضل لنا إذا استطعنا أن نكتب عنها سطراً واحداً.

قال لي أديب أعرفه بليغا مبينا له قلم ماضي السنان:

«لقد أردت أن أدخل القلعة غداة يوم الحادث، وأن أجول خلال الحرائق، وألج البرلمان، فتمنعني جنود لا يعرفونني ولا يفهمون عني بلساني، ولو تركت ألج ورأيت بعيني ما أصفه الآن على السماع لكتبت لكم شيئا يبكي الحب ليلة الوصال، والعروس ليلة الزفاف، ويرقق قلب الموتور ساعة الانتقام. ولو أشهدت هذا العرض لكتبت لكم قصيدة مجد تكون للأعصاب ناراً تشعلها حماسة، وللقلوب خمراً تميلها طربا، ولهذا الجيش جيشا آخر. ولو أحضرت حفلة رفع العلم على الثكنة الحميدية لكتبت غير ما كان نشر في الرسالة[1]، لأن الذي يتخيل ويكتب بارد الدم هادىء الأعصاب، غير الذي تمشي الكهرباء في أعصابه فتهزها هزاً، فيمسك قلمه ويدع روحه تملي عليه.

ولست — علم الله — أريد مالا من أولي الأمر أو عطاء، ولا أبتغي من بجالستهم شرفاً، فعندي من المال ما يسد حاجتي، ومن الشرف ما يكفيني، وإنما آسف على قوة في، وفي أمثالي من حملة الأقلام، تذهب هدراً، وتضمحل، والوطن يحتاج إليها، وهي تستطيع أن تكسبه مجداً لا ينال غيرها» ... انتهى كلامه.

* * *

فيا أيها الحاكمون! اذكروا أنكم تحتاجون إلى الأدباء ليكسبوكم الخلود، وليفيضوا على أمجادكم الحياة. أما هم فلا يحتاجون إليكم، لأنهم يستطيعون أن يخلقوا بأدبهم ملوكا وأبطالا، وينشئوا عالماً، ويقيموا لأنفسهم وللناس دنيا، إن تكن من الوهم، فرب وهم أفعل في نفس صاحبه من الحقيقة، وأثبت من الواقع. ورب شخص (روائي) خرج من خيال أديب، أحيا حياة، وأظهر وجوداً من أشخاص اللحم والدم، أسمعتم بعطيل ودون جوان وآرياجون؟

وبعد فهذا دفاع عن الأدب، لا عن الأدباء، فاقبلوه أو لا تقبلوه، إنما علينا أن نقول، وقد قلنا.

علي الطنطاوي

(١) بعنوان (دموع ودموع) العدد ٦٣٤.

ظهر حديثاً كتاب:

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً

اللغة العـــربية

الأستاذ وليم مارسيه

رئيس المعهد العالى للدراسات الشرقية

كان لجزيرة العرب فى شعرها الجاهلى أدب من هذا النوع الذى نسميه كلاسيكياً ، وذلك منذ القرن السادس المسيحى، فى عصر لم تكن كبريات لغاتنا العصرية قد تجلت فيه بعد خصائصها. وإنما أعنى بالأدب الكلاسيكى مجموعة من الآثار الأدبية تبدو لك معبرة عن قصد سام بعينه ، وعن موقف خاص من مشكلة الحياة ومصير الإنسان ، وعن ضرب من الشعور والفهم فى لغة أحاطت بها كل العناية لوضع صناعة دقيقة راقية تامة الشروط . وكان أصحاب تلك القصائد القديمة ينطقون أحياناً بالحكم ؛ لكنهم قليلا ما كانوا يفكرون التفكير المنطق أو يستنتجون ، بل تميل نفوسهم إلى الفوران مع شرارات متتابعة من الصور الخيالية والأمثال ، ومن صيحات الحب أو الغضب التى امتزج فيها اللطف بالقساوة واقترن العطف بالعنف ، وإنما يجرى تنسيق الألفاظ فيها طبق نظرية خاصة للجمال الفنى يعتبر الإيجاز من أهم قواعدها . وأسمى غايات الشاعر أن يكون لكل بيت من أبياته من التفوق فى إيجاز العبارة ومتانتها ما يجعل قوله تسير به الركبان فيصبح كالمثل عند قومه والناطقين بلغته ، ومع ذلك فلم تكن تلك القصائد الشبيهة فى قوة طابعها بضرب النقود خالية من بعض الغموض ؛ إذ لكل لغة سرها الخاص بها . بفضله لا يخلو شعرها من هذه الميزة والطابع الخاص ...

أما فى العربية ، فالعبارة من المتانة ما لا يبقى معه شىء يحجب مصدرها عن الناطق بها أو المستمع إليها ، وبذلك كان اللفظ فى اللغة العربية يذكرك بالأرومة التى اشتق منها . ولعل هذا الشعور العميق بالمصدر يفوق شعورك باللفظ عينه

فالعبارة العربية إذن كالمزهر ، إذا نقرت أحد أوتاره رنت لديك كل الأوتار ، وخفقت وهى تبعث فى نفسك زيادة عما لها من صدى خاص ، جميع الأصداء الخفية لكل ما ينتسب إليها من مفردات أو يلتحق بها ، ثم تحرك فى أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكباً من العواطف والصور . وإذا نحن نظرنا إلى العربية من حيث الصناعة أدركنا فى غير عناء أن سبك اللغة العربية فيه للشعر ومادته كنوز زاخرة لا تحصى وموارد ، فلقد كان نشوء هذه اللغة وتطورها مبنياً فى أعظم قسط من مفرداتها على التداول بين المقاطيع المقصورة والمقاطيع الممدودة

وإذن يجوز لنا القول بأن اللغة العربية ذات تقاطيع شعرية فى ذاتها ، فلا غرابة إذن أن يكون واضع علم النحو هو الذى ضبط تلك المقاطيع . أما الأوزان والتفاعيل الشعرية ، فإنها مؤلفة من مجموعة متأثرة بالصيغ الصرفية . وإن لهذا الاستعداد الشعرى العظيم آثاره القوية فى توجيه الآداب العربية ، فالرأى الغالب عند جميع الناطقين بالضاد فى سائر العصور أن الأدب شعر قبل كل شىء . لذلك كان مؤرخو الآداب العربية ونقادها يقتصرون من آثارها على فن الشعر أو يكادون ، فلئن كان قدامة قد أطلق على أحد كتبه اسم « نقد النثر » ، فهو على ذلك لم يعالج فى ثلاثة أرباعه غير الشعر . وهل الجاحظ قد روى معظم كلامه الذى استشهد به فى كتاب « البيان والتبيين » إلا عن الشعراء أو عن إخوانهم الخطباء ؟ وإذا كان بديع الزمان قد تردد فى الإذعان لما للجاحظ من فضل فى الميدان الأدبى ، فما ذلك كما قال ، إلا لأن الجاحظ وإن كان ناثراً بارعاً لم يكن إلا شويعراً ، وإذن فمن الواضح أن الذى لم تكن له الأسبقية فى صناعة الشعر ليس على حسب نظرية بديع الزمان رجل الأدب حقاً . وعلى ذلك فقد أحرز النثر فى القرون الثلاثة الأولى من الإسلام مكانه اللائق به ، ووافق ظهوره — مثل ما هو الشأن عند سائر الأمم — ما حصل من تقدم فى التفكير وطرائق البحث فى المواضيع العلمية .

وفى الواقع كان أهل صناعة التفكير المنطق الاستنتاجى والفقهاء والمشرعون على اختلاف مذاهبهم ، هم الذين سبقوا غيرهم من الكتاب بتطور النثر على أيديهم . ويحكى أن « بلزاك » كان يحمل نفسه على مطالعة كتاب « القانون المدنى » ، فيراه على أسلوب لا يجارى فى الوضوح والاقتصاد والدقة . ولا أظننى مخطئاً إن قلت : إن عدداً لا يستهان به من رجال الشرع الإسلامى وأئمة الدين كانوا فى عدد كبار الكتاب . ألا نجد مثالا من ذلك عند الجاحظ ، وهو أكبر كتاب القرن الثالث الهجرى بلا منازع ؟

فليس من شك أن الجاحظ كان قبل كل شيء من رجالات الفقه الإسلامي ، فقد انصرف فيما لا يقل عن نصف تآليفه إلى البحوث الدينية . وهل ينكر أحد أن كتاب « الحيوان » ، وهو أكبر تصانيف الجاحظ ، خاضع في جملته لشئون توحيدية ، إذ كان مصنفه يريد أن يستخلص من درس الطبيعة وبالخصوص من النظر في شؤون الحيوان ما يقوم حجة ناهضة لتأييد مذهب الاعتزال .

ومهما يكن من الأمر ، فلا مندوحة من الاعتراف بأنه قد تكون في القرن الثالث للهجرة نثر عربي يتصف بغزارة المادة وتنوع الأسلوب ، صالح للرواية وللجدال النظري معاً ، قادر على تتبع الفكرة والالتصاق بها في كل منعرجاتها ، وعلى أداء جميع دقائق المعنى . ولم تمض مائة سنة حتى زال هذا اللون من النثر العربي المتصف بانتقاء اللفظ واختياره وبانسجام عدد النغمات ، وقام مقامه النثر المسجع .

وفي الحقيقة لم يكن هذا النوع من النثر المسجوع زائراً جديداً في اللغة العربية ، بل كان عندها أسلوباً قديماً ما لوقار يرجع عهدها به إلى العصر الذي كان النثر فيه خطابياً أو شفاهياً على أقل تقدير إذ كان موجهاً في الحقيقة إلى السمع لا إلى النظر .

ويظهر أن هذا اللون من النثر المسجع قد قطع ثلاثة القرون الأولى من الإسلام يحيا حياة فترة محدودة النطاق ، فلم يكن يستعمله إلا نفر قليل من الدعاة ، ولا تجد له من وراء ذلك أثراً إلا السجعة أو السجعتين يضيفها مشاهير الكتاب إلى جملهم المرسلة

فإذا ما حل القرن الرابع للهجرة أصبح هذا اللون من النثر هو الغالب وطغى على غيره وعم . وإذا به مستعمل في مواضيع من الأدب وأبواب لم يكن قد طرقها من قبل ، بل هو يمتد إلى ما وراء المواضيع ويقتحم إلى ما أبعد من الأبواب فيصبح متصرفاً في كامل الآداب النثرية أياً كان لونها ومهما كان غرضها سواء أكانت من آداب الخيال والقريحة ، أم من آداب التراسل ، أو من كتب الأخلاق ، أو من آداب الدواوين ، أو في المواضيع التاريخية ...

ولعل السبب في هذا التغلب القاهر راجع إلى ما كان مشهوراً في سائر الأوساط الأدبية من تفوق الشعر على النثر . وكان نثر ابن قتيبة ، وقد ظهر متبسطاً منسجم المفردات مرسلا ينظر إليه عند المولعين بفن الشعر كما ينظر إلى فتاة الأسطورة الفرنسية « ساندريون » ، فقد كانت تفوق أخواتها وأترابها جمالا وذكاء نفس ؛ إلا أن بساطة أخلاقها وتواضعها كانا يظهرانها في مظهر الفقر والخصاصة فكانت لذلك منبوذة . وقد بدا للمغرمين بالشعر أن هذا النثر المنبسط المرسل في حاجة إلى زينة وحلى ، وهكذا جعلوه نثراً مسجعاً

ومع ذلك ، فإنه يجمل بنا ألا نشدد الحكم على النثر المسجوع فهو الذي أمد العربية بعدد من جواهرها الأدبية ، وهو الذي أكسبها آثاراً فيها من جودة الصناعة ودقة النقش ما يجعلها مثالا تطبيقياً لقاعدة الفن المطلق الخالص ، أو ما يعرف عندهم بالفن للفن ... ولا يمكن مع ذلك نكران العراقيل الخطيرة التي انجرت من هذا النثر للعبارة الصحيحة الكاملة الموفية بحق المعنى بالقياس للنثر وجوهره . ولا يمكن أن نتغفل عما كان لهذا النثر من سيء الأثر على الأسلوب ، فلقد جر له الفقر وحمل الكتاب على الاقتصار من أساليب الكتابة على الجمل القصيرة من شتات السجع ، فأفضى بعدد منهم إلى التضحية بالمعاني واللب في سبيل العناية بالشكل والأسلوب .

ولكن هذا النوع من النثر قد انقضى اليوم عصره وزال سلطانه . فلقد عادت الحرية المطلقة إلى النثر بفضل نهضة الآداب العربية التي بدأت منذ ثلاثة أرباع قرن تقريباً

وفي هذا الباب ذكر بعضهم مراراً عديدة ما للتأثيرات الأجنبية من فضل على هذه النهضة سواء من حيث الأسلوب ومن التعبير ، أو من حيث تجديد اللون الأدبي في ذاته ، واختيار المواضيع ، وهي عوامل لا يمكن نكرانها ، ولكنها لم تكن لتؤثر لو لم تصادف رغبة دفينة في الانبعاث ، وشوقاً إلى إحياء تراث عظيم قد وقف سيره تراث القرنين الثاني والثالث من الهجرة. ذلك أن البشر والشعوب لا يقبلون من التأثيرات والعوامل في باب العبقرية إلا ما كان ملائماً للخلاصة الخالصة من عقليتهم مسايراً لما لها من حركة وتوثب . وباختصار لا يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها إلا ما كان حياً في قرارة أنفسهم متوثباً للوجود

٢ ـ الزندقـــة
فى عهد المهدي العباسى

« أيها الغلام بلغ ضمنة أشبار تشهر فاقتد »

(من وصية إبراهيم الامام العباسى لأبى مسلم الخراسانى)

للاستاذ محمد خليفه التونسى

عرضنا فى المقال الماضى (الرسالة : العدد ٦٣٧) عرضا موجزا يسيرا ما كان من موقف الأمويين إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ، وعارضناه بموقف مؤسسى الدولة العباسية إزاء مخالفيهم فى الرأى والسياسة ، وبينا وجوه الخلاف بين الموقفين ، كما أوضحنا موقف هؤلاء وأولئك من العرب والفرس وما كان من اطمئنان الأمويين إلى العرب وحذر الآخرين من العرب والفرس معا وضرب كلا العنصرين بالآخر لسوء ظنهم بهما معا ، وأوضحنا أن النعرة الفارسية ظهرت منذ فتح العرب فارس فى عهد عمر الذى لم يكن قتله إلا مؤامرة فارسية لكيد العرب ، وما كان من خوف تسلط الفرس على مؤسسى الدولة العباسية فدفعهم إلى الإفراط فى الاتهام والقتل لمجرد الشبهة ، وما كان من طموح الفرس إلى الاستقلال وتطلع أبى مسلم إلى السلطان حتى قتله المنصور ، وسوء ظن العباسيين حتى بوزرائهم وقتل كثير منهم مما أدى بخالد بن برمك إلى كراهة أن يسمى وزيرا تطيرا من القتل كما قتل قبله أبو سلمة الخلال ، وما كان من إسراف العباسيين فى الحجر على الحرية الفكرية خوفا على دولتهم من الانهيار ، وأن المنصور كان يحجر على حرية الرأى فى كل ماعدا الحكومة ونظمها ليس غير حتى ليحاسب الناس على ما فى ضمائرهم ويعاجل بالقتل كل خارج عليه ، بل كل من كان وجوده خطرا عليه ولو لم يكن يستحق القتل وما كان من عدم مراعاته فى ذلك حدود الدين ولا قواعد العرف العربى ولا العهود التى قطعها على نفسه . وقلنا فى ختام المقال : « فلما جاء ابنه المهدى سنة ١٥٨ هـ كانت الخلافة قد استتبت له فلم يكن يخشى ما خشى والده من الفتن على الدولة ولكن عهده لم يكن خاليا من فتن ذات طابع خاص يميزها من الفتن التى قامت فى عهد أبيه ، وقد جعلته هذه الفتن يتجه إلى الحجر على الحرية الفكرية فى عهده ولاسيما الزندقة ؛ إذ كانت الزندقة طابع هذه الفتن وعنوانها ، وهذا ماجعله دقيق الإحساس من ناحيتها ، كلفا بمعاقبة من يتهمون بها إن صدقا وإن كذبا ، جادا فى البحث عن أتباعها فى كل مكان ، فإذا وجدهم حاسبهم حتى على ما فى ضمائرهم وعاقبهم بالظنة كأبيه ، ولو لم يجد من أعمالهم ولا أقوالهم مستندا للتهمة فضلا عن مبرر للتعذيب والقتل ، أما فيما عدا الزندقة فكان المهدى حياله سمحا كريما ، ولذلك تفصيل سيأتى بيانه إن شاء الله » .

ولتفصيل ذلك لا بد من بيان الحوادث التى حملت المهدى على تشدده فى عقاب الزنادقة ، وبيان صفاته النفسية والفكرية التى جعلته يتخذ أسلوبا خاصا فى النظر إلى هذه الزندقة وهؤلاء الزنادقة . ولابد من عرض بعض المحاكمات التى جرت بينه وبين كبار الزنادقة والتهم التى وجهت إليهم أثناءها حتى قضى فيها بالقتل أو بغيره . ولابد لنا مع هذا كله من أن ننظر نظرة ربط إلى أمرين مترابطين بوجودهما هما الزندقة والشعوبية أو الوطنية الفارسية إذ لا حيلة لنا فى فهم

وها هو ذا اليوم النثر العربى قد تهذبت حواشيه واتضحت آياته وتم تجديده على أيدى الجيلين الأخيرين من الكتاب ، وبفضل ما بذله هؤلاء من جهود متواصلة ، وما صبروا عليه من جد وعمل ، فأصبح هذا النثر أهلا لأن يكون أداة تعبير لحضارة عصرية . وبلغ هذا المستوى من الرقى الذى به يتم تأليف الآثار الفنية الخالدة . وإنما نعنى بالآثار الفنية الخالدة آثاراً لها من قوة السبك ومن الامتلاء بالحقائق البشرية ما لا تنال منه الترجمة إلى اللغات الأجنبية أو تذهب به ؛ « قدون كيشوت » لمؤلفه « سرفانتاس » وكتاب « الحرب والسلم » لـ « تلوستوى » ، وكتاب « كيم » لـ « روديارد كبلنغ » كلها كتب قد حافظت فى نصوصها الفرنسية على أوفر قسط من جمالها وروعتها

وإنى أؤمل بكل قوة أن يأتى اليوم الذى يوجد فيه تصنيف لمؤلف عربى من المعاصرين ينقل إلى اللغات الأوربية فيقيم لأبناء الغرب الدليل على أن أبناء عدنان وقحطان قادرون مرة أخرى على تنمية كنز الفكر البشرى

[عن نشرة الدراسات العربية بالجزائر ترجمة الزرقا] وليم مارسيه

الزندقة فهما صحيحا ما لم ننظر إليها مرتبطة بهذه الشعوبية الفارسية التي كانت السبب الأهم فيما قام في فارس من ثورات على الخلفاء من العرب أو حروب استقلالية ، فلم تكن تلك الفورات المتتابعة إلا لطلب استقلال الفرس الذي انتزعه العرب منهم ، ومحاولة التخلص من السيطرة العربية ولا سيما بعد أن زاد الاضطهاد ورأى الفرس بأعينهم أنهم قادرون على هزيمة العرب بما جرى بين الفريقين من وقائع انتصر فيها الفرس على العرب ومنها المعارك التي كانت بين الجيوش الخراسانية وجيوش الأمويين وانتصار الأولين وهم فرس على الآخرين وهم عرب، ولقد كان ما كان من ضياع أمل الفرس في العباسيين بعد أن مكنوا لهم دولتهم ، وجحودهم الذي ظهر في قتل المنصور أبا مسلم ، وإخماده ثورة تلميذه سنباذ الذي ثار للمطالبة بثأره حين ثار عليه في سنة ١٣٧ هـ وهي سنة مقتله[1] ، وما كان من قمع المنصور الراوندية حين خرجوا عليه لقتله في الهاشمية سنة ١٤١ هـ وقد كانوا على رأي أبي مسلم في زعمه تناسخ الأرواح ، وادعوا أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية أحد ولاته هو جبريل[2] ، ولا بد لنا من النظر بعد ذلك في عقائد فارس المانوية والمزدكية لفهم الآراء التي كانت تتوج هذه الفتن ولا سيما فتنتي الزنادقة المحمرة والمبيضة في عهد المهدي ، وتحديد معنى الزندقة كما تراءاها المهدي والمعاني الأخر التي كانت ذائعة في ذلك العصر لكلمة الزندقة وكانت تطلق على كثير ومع ذلك ظلوا بعيدين عن العقاب بل ظلوا في كنف الدولة ينالون خيراتها ويحتمون بها بل يلون ولاياتها من الخلفاء ويقودون جيوشها مع الثقة والتقدير، ولا بد من الإشارة إلى دسائس البلاط ومكايد السياسة والتنافس بين رجال البلاط وما كان لكل ذلك من الخطر في إشاعة التهمة بالزندقة والعقاب عليها على ما سنفصله إن شاء الله .

ونكتفي في القول في ثورات الزنادقة بعرض موجز لأخطر ثورتين ظهرتا في عهدي المهدي : إحداهما ثورة الزنادقة المبيضة في خراسان وقد ظلت نحو عامين[1] وثانيتهما ثورة الزنادقة المحمرة بعدها وقد تم إخمادها بسرعة ويسر ، فقد كانت هاتان الثورتان هما اللتين وجهتا نظر المهدي إلى الزندقة وجهة خاصة وصبغتا عهده بها صبغة خاصة مما لم يكن له قبله مثيل . وها نحن أولاء نلخص أخبارهما مما كتب كل من الطبري وابن الأثير في تاريخه : ظل المنصور يدبر ملكه قرابة اثنتين وعشرين سنة[2] (١٣٦ — ١٥٨ هـ) وقد توفي في يوم السبت سادس ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ ببئر ميمون محرما وهو يقوم بشعائر الحج[3] وقد تولى الخلافة بعده ابنه المهدي ولم تمض بضعة أشهر من سنة ١٥٩ هـ أو من خلافة المهدي حتى فوجيء بثورة عوان في خراسان هي ثورة الزنادقة المبيضة فاضطرب لها ملكه وزازل زلزالا شديدا[4]. ذلك أنه خرج في خراسان في هذه السنة (١٥٩ هـ) رجل من الفرس يسمى هاشم بن حكيم وهو المعروف في التاريخ بالمقنع الخراساني لأنه كان يضع على وجهه قناعا من الذهب ليخفي به دمامة وجهه ولم تكن ثورته كثورة غيره انتقاضا على الدولة لاستبدال خلافة بخلافة أو الثأر لقبيلة من قبيلة أو نصر جيل على

(١) الطبري ج ٩ ص ١٦٩ ، وابن الأثير ج ٥ ص ١٩٥ ، والخضري ص ٥٦ — ٦٠ ، ودائرة المعارف الاسلامية : المادة : أبو مسلم وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٠ ص ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢١١ .

(١) الطبري ج ٩ ص ٢٣ — ١٧٥ ، وابن الأثير ج ٥ ص ٢٠٣ والخضري ص ٧٥ .

(١) لم أجد من حملها غير ذلك وإن اختلف في وقتها فهو عند الطبري من سنة ١٦١ إلى ١٦٣ وعند ابن الأثير من ١٥٩ إلى ١٦١ هـ وعند حسن خليفة في كتابه : الدولة العباسية من ١٥٨ إلى ١٦٠ هـ .

(٢) الطبري ج ٩ ص ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ ص ٦ ، والخضري ص ٨٥ ، وتاريخ بغداد ج ١ ص ٦٥

(٣) الطبري ج ٩ ص ٢٩٢ — ٢٩٣ ، وابن الأثير ج ٦ ص ٦ ، والخضري ص ٨٥ ، والأستاذ حسن خليفة : الدولة العباسية — قيامها وسقوطها (الطبعة الأولى) .

(٤) يبدأ الطبري بذكر هذه الثورة في أخبار سنة ١٦١ هـ وينتهي بذكرها في أخبار سنة ١٦٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٣) ويبدأ ابن الأثير بذكرها في أخبار سنة ١٦٠ هـ (ابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ، ١٨ ، ١٩) وقد سكت الخضري عن توقيتها عند كلامه فيها (الخضري ص ٨٨) ويذهب الأستاذ حسن خليفة في كتابه (الدولة العباسية ص ٥٤) إلى أنها كانت بين سنتي ١٥٨ و ١٦٠ هـ ، وقد رجحت رأي ابن الأثير على رأي الطبري لأن المهدي بدأ بالعقاب على الزندقة في أوائل سنة ١٦٠ ورجحته على رأي الأستاذ حسن خليفة لأن المهدي ولي الخلافة في ذي الحجة سنة ١٥٨ هـ ، ولم يذكر الأستاذ مصدره الذي نقل عنه هذا التوقيت ، ولهذا كان التسليم برأي ابن الأثير أسلم وأوفق للوقائع بين المهدي والزنادقة حتى كما رواها الطبري والخضري وابن الأثير نفسه

جيل[1] بالقوة فحسب ، بل كانت إلى جانب محاولة التخلص من الحكم العربي لفارس ثورة ذات آراء خاصة في الدين والكون : كانت نزعة عنصرية فارسية بدليل أنها قامت في خراسان ، وألقائمين بها من الفرس ، وكانت ترمي لأخذ الثأر من الخليفة والعرب جميعا : فقد كان المقنع يقول بتناسخ الأرواح وأن روح الله ظهرت في آدم ثم انتقلت إلى نوح وهكذا إلى أبي مسلم[2] ثم المقنع نفسه ، فهو إذن يدعي الربوبية لنفسه[3] ، وهذا ما لم يزعمه ثائر قبله لنفسه ، ومن أجل ذلك كانت ثورته ذات طابع خاص يميزها من الثورات التي تقدمتها وإن اتفقت معها في كثير من الغايات . ومن أجل ذلك أيضا كان من الحزم والفطنة أن ينظر إليها الخليفة المهدي نظرة خاصة تتاز عن نظراته إلى الخارجين عليه من طلاب الملك والمغانم وغيرهم .

نهض المقنع يدعو من حوله إلى الإيمان بربوبيته والأخذ بتعاليمه في خراسان وما وراء النهر فاستغوى بشرا كثيرا من الصغد وبخارى وسمرقند وأتراك بحر قزوين ، وامتد نفوذه في تلك البقاع النائية ونبه أمره ، وكان أتباعه يسجدون له من أي النواحي كانوا ، وكانوا يقولون في الحرب : « ياهاشم أعنا » وتحصنوا في قلعة بسيام وسنجردة وهي من رساتيق كش فيما وراء النهر[4] ، وأعانه كفار الأتراك فأغاروا على المسلمين ، وكان يعتقد أن أبا مسلم أفضل من النبي عليه السلام ، ويدعي أنه يقتل قاتليه ، واجتمع مع من والوه بكش وغلبوا على بعض قصورها وعلى قلعة نواكث وحاربهم أبو النعمان والجنيد وليث بن نصر من ولاة المهدي في إقليم خراسان وما وراء النهر مرة بعد مرة فلم ينالوا منهم شيئا ، وقتلوا حسان بن تميم ومحمد بن نصر وغيرهما من الولاة . وعندئذ لاح الخطر على الدولة للمهدي فعبأ جيوشه ووجه بها إلى المقنع يقودها أبرع قواده فعجزوا عن إخضاعه : ومن هؤلاء معاذ بن مسلم واليه على خراسان ومعه عقبة بن مسلم وجبرئيل بن يحيى وأخوه يزيد وليث بن نصر بن سيار مولى المهدي . ولقد اشتغل هؤلاء بقتال المقنع وزنادقته المبيضة الذين كانوا ببخارى فقاتلوهم أربعة أشهر في مدينة بومجكث وتغلبوا عليهم وقتلوا منهم سبعمائة ، ولكن منهزميهم لحقوا بالمقنع فكانوا له قوة ، ولقد تبينهم جبرئيل بن يحيى بعد أربعة أشهر في القتال بلا جدوى . وكان ممن سيرهم المهدي إلى المقنع قائده أبوعون فلم يبالغ في قتاله . واستمرت الحرب بين جيوش المهدي وجيوش المقنع نحو سنتين حتى عيل صبر المهدي ولقي المسلمون منه بلاء عظيما ، وكان المهدي أثناءها يبعث بقواده على جيوشه مجتمعين ، وفي نهاية الأمر أرسل معاذ بن مسلم وجماعة من القواد والعساكر وعلى مقدمته سعيد الحرشي ، وأتاه عقبة بن مسلم من زم فاجتمع به بالطواويس وأوقعوا بأصحاب المقنع ، وأتى معاذ بعد سعيد فحاربهم ، ولكن كل أولئك لم ينزل الهزيمة الساحقة بالمقنع وجيوشه . وجرت في نهاية الأمر جفوة بين القائدين سعيد الحرشي ومعاذ بن مسلم فكتب سعيد إلى المهدي يقع في معاذ ويضمن له أن يكفيه المقنع إن أفرده بالقيادة فأجابه المهدي إلى ما طلب ، فبدأ يطارد المقنع ويضيق عليه ويحاصره وإذ ذاك شعر المقنع بالخطر فبدأ يجمع الأقوات والأسلحة عدة للحصار ، ولكن سعيداً ضيق عليه الحصار حتى أيأسه من النصر والحياة والمقنع محصور في قلعة كش ، فلما أحس بالهلكة شرب سما وسقاه نساءه وأهله فمات وماتوا جميعا ، ودخل المسلمون قلعته واحتزوا رأسه ووجهوا به إلى المهدي وهو بحلب .

ولقد عرف المقنع الخراساني هاشم بن حكيم وأتباعه بالزنادقة المبيضة لأنهم اتخذوا اللباس الأبيض شعارا لهم[1] .

(١) الجيل هو الأمة فيقال الجيل العربي والجيل الفارسي بمعنى الأمة العربية والأمة الفارسية ، وليس معناه العنصر

(٢) يلاحظ في هذه السلسلة ظهور اسم أبي مسلم وهو فارسي ، ويلاحظ معه ما كان من مطامعه وقتل المنصور إياه ، فهذه الثورة كان المقصود منها التخلص من الحكم العربي ، والثأر لأبي مسلم

(٣) ذلك يدل على أن من أغراضها خلع الاسلام .

(٤) المراد به نهر جيحون أو أمودريا ، وكان هناك إقليم من أقاليم الدولة الاسلامية منذ ظهور العباسيين يسمى إقليم المشرق ، قسم منه شرق نهر جيحون ويسمى ما وراء النهر (بالنسبة لعاصمة الدولة : دمشق أو الهاشمية أو الكوفة أو بغداد أو هيطل) ، وأقاليم غربي جيحون ويسمى خراسان

(١) الطبري ج ٩ ص ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، وابن الأثير ج ٦ ص ١٤ ، ١٨ ، ١٩ ، ومحاضرات الخضري بك ص ٨٨ وحسن خليفه في كتابه : الدولة العباسية ـ قيامها وسقوطها ص ٥٤ ـ ٥٥ .

هذه هى الصدمة الأولى من صدمات الزنادقة التى أصابت الدولة العباسية فى عهد المهدى فاضطربت لها دولته جميعا وتتابعت لها الزحوف إثر الزحوف نحو سنتين حتى أخمدتها بعد لأى شديد وإسراف كثير فى الأرواح والأموال ، ولم يكن المهدى قبل ذلك إلا عالما أقوى العلم بخطر إقليم المشرق فمنه انبعثت الجيوش الخراسانية التى دكت المملكة الأموية دكا ، وأسلمت الخلافة للعباسيين ، وما كان المهدى ليجهل خطر الفرس وما أنزل بهم العرب من بلاء طوال مدة بقائهم فى الأقاليم الفارسية ، ولا حقد الفرس على العرب وتربصهم بهم الدوائر ، وما كان من قتل أبى مسلم ومطامعه وثورة تلميذه وتابعه سنباذ ثم ثورة الراوندية ، وما كان ليجهل الدوافع القريبة والبعيدة التى أثارت هذه الفتن؛ ولم يكن ينقصه سوء الظن والدهاء وقد كان الأمران من أهم الأركان فى سياسة الدولة العباسية منذ عهد السفاح بل قبله إلى عهده هو (المهدى)[1]

أما الثورة الثانية فقد جاءت إثر الأولى بعام واحد تقريبا[2] وإن لم تبلغ من القوة ما بلغت الأولى ولم تكلف المهدى من الأموال والأرواح والمتاعب ما كلفته تلك : قامت هذه الثورة فى المشرق أيضا (وهكذا المشرق دائما) فى ولاية جرجان شرقى بحر قزوين ، وكان القائمون بها يعرفون بالزنادقة المحمرة لأنهم اتخذوا اللباس الأحمر شعارهم ، ولا خلاف بين الطبرى وابن الأثير فى أن هذه الثورة كانت سنة ١٦٢ هـ[3] ، بل تكاد كلماتهما تتحد فى الرواية . قال ابن الأثير فى أخبار سنة ١٦٢ هـ « وفيها خرجت المحمرة بجرجان عليهم رجل اسمه عبد القهار فغلب عليها وقتل بشرا كثيرا فغزاه عمر بن العلاء من طبرستان فقتله عمر وأصحابه[4] »

وقد انتشرت تعاليم طوائف الزنادقة بين الناس فيما وراء النهر وخراسان والولايات الفارسية الغربية والشمالية ، وتسربت أيضا إلى العراق ، وكانت تعاليمها مزيجا من فلسفة مانى واشتراكية مزدك كما سنفصله إن شاء الله ، فهب علماء المسلمين ممن اشتغلوا بعلم الكلام يردون على هذه التعاليم . ولقد كان لتعاليم الزنادقة بعدئذ وقبلئذ أثر عظيم فى نظريات علم الكلام واتجاهاته بل اتجاه الفكر الإسلامى كله حينذاك وفى أقوال الشعراء الفرس ، حتى لا نستطيع أن نفهم بعض مذاهب المتكلمين وأقوال بعض الشعراء وبعض اتجاهات الفكر الإسلامى بل كلها فى ذلك العصر إلا إذا درسنا حركة الزندقة . ولا حيلة لنا كما قدمنا فى فهم معنى الزندقة بل معانيها المختلفة مالم ندرس حركة الشعوبية التى ظهرت كما قدمنا منذ وطئت أقدام العرب أرض فارس فى عهد عمر بن الخطاب ولم تظهر فى غيرها من البلاد التى فتحها المسلمون كمصر واليمن والشام وبلاد المغرب وموعدنا بذلك المقال التالى إن شاء الله .

محمد خليفة التونسى

تصويب:

فى مقالنا الأول (الزندقة فى عهد المهدى العباسى) المنشور بعدد الرسالة ٦٣٧ وقع خطأ فى اسم أبى سلمة حفص الخلال فكتب فى صفحة ١٠١٣ أبو حفص سلمة الخلال ، وفى صفحة ١٠١٤ أبو سلمة وصوابه — كما قلنا — أبو سلمة حفص الخلال كما يفهم من الأبيات التى نقلناها هناك ، ومنها :

شرب الكأس بعد حفص سليما ن ودارت عليه كف المدير

(١) راجع مقالنا الأول فى الرسالة — العدد ٦٣٧ وعنوانه (الزندقة فى عهد المهدى العباسى) .

(٢) و (٣) الطبرى جـ ٩ صـ ٢٤٢ ، وابن الأثير جـ ٦ صـ ٢١ . وقد ذكر كلا المؤرخين هذه الثورة فى أخبار سنة ١٦٢ هـ ، ولكن يلاحظ أن الطبرى — كما تقدم — يذكر أن ثورة الزنادقة البيضة بدأت سنة ١٦١ هـ وانتهت سنة ١٦٣ هـ فمعنى أن ثورة الزنادقة المحمرة قامت أثناء قيام ثورة الزنادقة البيضة ، ويلاحظ أن ابن الأثير يذكر — كما تقدم — أن ثورة الزنادقة البيضة بدأت سنة ١٥٩ هـ وانتهت سنة ١٦١ معناه أن ثورة الزنادقة المحمرة بدأت بعد ثورتهم بسنة واحدة تقريبا ، وذلك ما أخذنا به ، لأنه لا مفر لنا منه بعد أن رجحنا فيما سبق رأى ابن الأثير على رأى الطبرى فى توقيت الثورة فجعلنا مبدأها سنة ١٥٩ هـ ونهايتها سنة ١٦١ كما رأى ابن الأثير

(٤) ابن الأثير جـ ٦ صـ ٢١ .

إدارة البلديات — تنظيم

تقدم العطاءات بادارة البلديات (بوستة قصر الدوبارة) حتى ظهر يوم ٢٥/١٠/١٩٤٥ عن توريد عدد ٢ عربة بكليش وعدد ٢ عربة قمامة لمجلس دسوق البلدى وتطلب الشروط والمواصفات الخاصة بذلك من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٥٠٠ مليم للنسخة الواحدة عدا ٦٠ مليما أجرة البريد ٤٣٠٠

الشباب الخالد

توطئة دراسات في الأدب والنقد

للأستاذ جورج سلستي

ليس شباب العمر ما أعنى ، وعمر الشباب كعمر الورود سرعان ما تبلوه الحياة بالأعاصير فيذوى !

ولا الربيع — شباب الطبيعة — وهو ما إن يرود برونقه النضر حتى تصوّحه لافحات الهواجر !

ولا شباب الدول ذوات الحول والطول وهو مهما يطل لابد له آن يدول ! فالخريف كامن في أعقاب هذه جميعاً وإنما ثمة شباب لا يدركه خريف : شباب لا يعروه الهَرَم ولا يدبّ إليه وَهَن الكبير .

شباب غيداني ، أبدى البشر والرواء ، دائم الوضاءة والحسن ، يعدو الزمن العصيب فما يطاوله بحدثانه ، ويدور الدهر الحريب فما يديل من ريعانه !

شباب يزدري بسطوة الفناء ، ويهزأ بعاديات الفناء ، لأنه ينبض أبداً بعضاء القوة وعزة الحياة وزهو الخلود !

شباب شاخت الدول وباد منها ما باد ولم تدل دولته . واندرست جلائل المعالم كما عفت روائع الآثار وهو أبداً رَيّق الصبا يطاول بعزته السماء ويتحدّى بخلوده الأزل !

ذلكم الشباب الوئيد هو شباب الفن الرفيع ، شباب الأدب : يَهرَمُ الكون وهو غضٌّ وتبلى جدّةُ الدهر ، وهو زاهٍ نضيرٌ ، وليس كالأدب ما يتخطى هامات الأجيال بأبهة وجلال ، محتفظاً بسحره الأخاذ وروعته القدسية . وإن العلم ليتبدّل من حال إلى حال ، بل إن من نظرياته ما انقلب رأساً على عقب بتقدم العصر وارتقاء الفكر ، وإن ما كان يحسب فيه حقيقة ثابتة لا مراء فيها في جيل ، نقضه الجيل الذي تلاه . وقد ينقض العلم غداً ما يبرمه العلماء اليوم ، في حين أن نفثات هوراس وهوميروس وفرجيل ودانتي وملتون والمعري وشكسبير وأترابهم من الشعراء والأدباء الأفذاذ لتجد فيها النفوس في اليوم الحاضر ما وجدته من قبل نفوس الأمس البعيد الغابر من متعة ولذة وأنس ، ولسوف تتناقلها الأفواه في مؤتنف الأيام كما كانت تتناقلها الألسن في سالفات الأعوام ، ولسوف يظل يتلو الناس آيات الشعر والأدب ما دام فيهم من تستهويه لفتات الخاطر المشبوب ، ووميضات الذهن المتوقد ، وعذوبة المنطق المسول ، وستنشد أهازيج الهوى التي تغنى بها سليمان الحكيم كما تتلى غزليات ابن المعتز ووجدانيات ابن زيدون ؛ وإن العالم ليستمتع بها — على قِدَم العهد — كما يستمتع بروائع ذي موسلة ، وبدائع لامرتين ، وطرائف الأخطل الصغير ، وستبقى أبداً نزهة الأرواح ومتعة النفوس ما دام للناس قلوب تخفق ، وأكباد تحن ، ومُهَج تتشوّق .

وتقدير الأدب ليس بالبدعة المستحدثة في التاريخ ، فقد عرف الأقدمون له جلال القدر ورفعة المنزلة فبوّأوه حرمات التقديس . ومن البدائه المأثورة أن العرب في الجاهلية كتبت على القباطي بماء الذهب مختاراتها من روائع الشعر الحي وعلقتها بالكعبة تقديراً لها وتعظيماً .

وإن الأغريق قد كتبوا بالذهب على جدران معبد أثينا في نفوس القصيدة العصماء التي قالها بندار زعيم الشعر الغنائي في مدح دياجوراس[1]

وهل كان الملوك والأمراء يبذلون المال والهبات على الشعراء الأفذاذ بمثل ذيالك السخاء العظيم لولا طمعهم في خلود الذكر في القصائد الرنانة التي كانت على ألسنة الناس كالمثل السَّرود ؟ !

وإنها والله لصفقة خاسرة للشعر أن تشترى روائعه الخالدات بمتاع منفوق .

يروى التاريخ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال لبعض أولاد سنان ممدوح زهير بن أبي سلمى :

« أنشدني بعض مدائح زهير في أبيك » فأنشده . فقال عمر : « إنه كان ليحسن فيكم القول » فقال ابن سنان : « ونحن كنا نجزل له العطاء » . فقال عمر قوله المأثور الخالد : « قد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم ! » .

ألا طيب الله ثراك يا أمير المؤمنين وكرّم مثواك . فقد زكيت

(١) تاريخ الأدب العربي للأستاذ الزيات نقلا عن لاروس .

الفن الرفيع بشهادتك الخالصة التي أدّيتها لوجه الحق مختارا. فشتان بين ما يذهب كالزبد جفاء وما يمكث في الأرض ويبقى ما كرّ الجديدان.

وبعد. فسرّ خلود الأدب قائم في كونه رسائل الأرواح في جلاء الحق والحب والخير والجمال، ومرآة تتجلى فيها سرائر النفوس ونزعات الأهواء، فهو لذلك من خصائص كل أمة في كل جيل رهفت في نفسها الأحاسيس وذكت الخواطر، وسمت الأرواح. وإن نفس كل امرئ لتظل تهفو إلى الأدب الماتع والفن الرائع ما دامت طليقة من إسار المادة وجشع الأثرة وعبودية الروح. وما ركود الأدب في عهد من عهود التاريخ إلا دليل على فقدان القيم الروحية لدى أبناء ذلك العهد المشؤوم. وما ازدهار الأدب في حقبة من الحقب إلا دليل الشعور بالكرامة، وصقل النفس، ورهف الحس، وسمو الروح والتقرب من بلوغ الكمال. فإن أعوز المصلح أن يتعرف إلى مقدار التهذيب عند شعب من الشعوب؛ وأين هو من كرم الخلق فليسبر مدى تذوق بنيه للأدب الرفيع، فقد كان الأدب الرفيع وسيبقى أبد الدهر مقياس الرقي عند الأفراد والأمم على السواء.

ولئن كانت النفوس تنزع بطبيعتها للشرور وتميل للغرور فإن الفنون — على أنواعها — كفيلة بالتلطيف من حدة النزوات وقمينة بتنمية الفضائل، وإن الأدب من الفنون بنوع خاص يصقل النفوس، ويرهف منها الأحاسيس ويحبب إليها الشهامة والإباء والعزة والنبل.

ولقد كان الخلفاء في الإسلام كما كان الملوك والأمراء في الجاهلية يوصون الآباء بتثقيف البنين الشعر والأدب لتسمو أخلاقهم وتدمث طباعهم. وقد بلغ من إعجاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب « بلامية العرب » للشنفرى الشاعر العدّاء المشهور أن قال:

« علموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلم مكارم الأخلاق ».

وقال أيضاً رضي الله عنه:

« تعلّموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى ».

ولله درّ من قال:

وما هو إلا القول يسري فتقتدى ... له غُرَرٌ في أوجه ومواسمُ
ولولا خلال سنها الشعر ما درى ... بناةُ المعالي كيف تبنى المكارمُ

وقال الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

« الأدب حلي في الغنى، كنز عند الحاجة، عون على المروءة، مؤنس في الوحدة، تعمر به القلوب الواهية وتنفذ به الأبصار الكليلة ويدرك به الطالبون ما يحاولون ».

وقال معاوية بن أبي سفيان:

« احملوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فما حملني على الإقامة ليلة الهدير بصفين وأنا أريد الهرب لشدة البلوى إلا أبيات عمرو بن الأطنابة التي يقول فيها:

أبت لي همتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

وهل الأمجاد لولا الأدب الحي إلا أطلال؟

فلقد مرت بتاريخ البشرية عصور يذكر فيها القائح واللعنة في أثر اسمه على الأفواه، والحاكم الداهية وبسمة الامتعاض والاشمئزاز تعلو الثغور، والسياسي الأريب وأمارات النفور تبدو على الأسارير، وذلك لأن أمجاد هؤلاء جميعاً لم تقم إلا على الدم المطلول أو الوعد الممطول أو العرض المبذول، ولقد دالت هاتيك الأمجاد ولم يبق إلا مجد الأدب. ألا رحم الله ابن الرومي القائل:

« أرى الشعر يحيي الناس والمجد بالذي
تبقيه أرواح له عطرات
وما المجد لولا الشعر إلا معاهد ... وما الناس إلا أعظم نخرات »

تلكم هي منزلة الأدب في النفوس ومكانته في القلوب، وذلكم أثره البعيد في الناس.

فلا غرو إذن أن يخلد على الدهر ولا بدع أن يسلم على الزمن! وكيف لا يظل غض الإهاب بيان يمتزج فيه الناس أعراف الجنة وأنسام الخلد، ويرون فيه ربيعاً سرمدياً منضر الجنبات، منور الحواشي؛ بيان سمح ينفس عن القلب المكروب، ويروح عن الفكر المجهود، ويمتع النفس اللاغبة، ويسمو بالروح من حضيض الغبراء إلى ذرى الجوزاء ويحلق بها في دنيا غير الدنيا وعالم غير هذا العالم. دنيا زاخرة بأطياف الأماني الغرر والأحلام الوضاء. وعالم رحب الأجواء، نير الرؤى، رخي النفحات، عباق النسمات

سجون بغداد

زمن العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

— ٢ —

(ز) العيارون ، اللصوص ، المجرمون

وكان العيارون واللصوص وقطاع الطريق يودعون السجن[١] وقد سجن المأمون نفراً منهم كبيراً . وقتل آخرين[٢] ، وذكر ابن المعتز أن إسحق بن خلف ، وكان أحد الشطار الذين يحملون السكاكين قتل غلاماً فحبس بذلك ؛ فما فارق الحبس حتى مات[٣] .

(١) آدم متز : ج ٢ ص ١١٥
(٢) تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٧٨ .
(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٢٨ .

وذكر ابن الجوزي أن المعتمد حبس ثلاثة من الجند لأنهم سرقوا[١] . وأنه وجدت في خلافة المطيع امرأة قد سرقت صبياً ، فشوته في تنور وهو حي ، وأكلت بعضه ، وأقرت بذلك ، وذكرت أن شدة الجوع حملتها على ذلك . فحبست مدة ، ثم ضربت عنقها[٢] .

وكان الأطباء الذين يغلطون فيودون بحيلة الناس يحبسون . فقد حبس الطبيب النصراني خصيب لأنه سقى محمد بن أبي العباس السفاح شربة دواء فمرض منها ومات وبقي في حبسه حتى مات[٣] .

(ط) الشعر ، المضحك ، الغناء

وقد يسجن الإنسان لأسباب حقيرة لا شأن لها . فتحدثنا كتب الأدب أن أبا العتاهية سجن مرة لأنه قال :

(١) المنتظم لابن الجوزي ج ٥ ص ١٢٤
(٢) » » » ج ٦ ص ٢١٧
(٣) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص ١٤٨

بالأرج المحيي والشذى المعطار .

وهل الدنيا إلا صحراء لاهبة واحتها المخضلة هبات الفن السامي ونتاج العبقرية الخلاقة ؟ !

وهل العيش لولا تلكم النفثات العذارى التي يطرف العالم بها أرباب الفن وعباقرة الأدب إلا الشقاء الحرور ، والعناء الفادح والوصب المعض ؟ !

كان الحسن البصري يقول ما مؤداه :

الدنيا كلها ظلمة إلا مجالس الأدباء ومساجلات العلماء ومطارحات الشعراء .

ألا قدّس الله سرك يا حسن ، يا مجتلى النور في البيان السمح والمنطق المعسول .

« اسمعوا أيها الناس وعوا » على حد تعبير خطيب العرب وحكيمها وحكمها قس بن ساعدة الأيادي .

إنما الأدب عصارة القرائح وفيه تتجلى خلاصة الثقافات ، وإنه لمستودع الحكمة والحكمة يا كرام الناس كرسالات الأنبياء من وحي السماء وما توحيه السماء لا يموت . وهل تعوزكم الأدلة والبينات وبين أيديكم المكتب المنزلة تهتفون بآياتها الساحرة آناء الليل وأطراف النهار ؟

تلك الآيات التي تخشع عند تلاوتها النفوس خشعة الإكبار والإجلال والتقدير لهيمنتها على المشاعر واستحواذها على العقول والألباب حتى لكأنها السحر ، بل إنها لكذلك وإن من البيان لسحراً .

سبحان رب العرش وتعالت كلمتك . ما كان قولك الحق ليحتاج إلى الأيمان البائنة تؤيده لولا أن في الناس أدعياء مارقين كالوليد بن المغيرة ينكرون نعمتك ويكذبون آياتك ويقولون عنها ضلة وزيفاً « إنها أساطير الأولين » فأقسمت — وبالرهبة القسم العظيم « ن ، وبالقلم وما يسطرون » . تثبيتاً لبيانك الخالد وتنويهاً بالقلم وبأربابه رافعي علم حكمتك السامية بين الناس . وحكمتك هي الحق اليقين التي بها يهتدون .

أشهد اللهم أنك أنت الشاعر الأعظم ، وأن أنبياءك المرسلين الأطهار أئمة الشعراء والأدباء أجمعين .

وأشهد أن للفن شباباً غضيراً يتحير في قسماته النورانية ماء الخلود .

(بيروت)

جورج سلستي

ألا إن ظبياً للخليفة صادنى ... ومالى عن ظبى الخليفة من عذر[1]

وسجن مرة ثانية لأن الرشيد أمره أن يتنزل وهو معه فى الرقة ، فأبى[2] وكان معه إبراهيم الموصلى ؛ وكان قد أمره أن يغنى ، وقد مات الهادى فأبى أيضاً ، فحبسه وقال: لايخرجان حتى يغنى هذا ويشعر ذاك[3] .

ويذكر الشابشتى صاحب كتاب الديارات خبراً يدعو إلى العجب والإعجاب فى آن معاً . قال : خرج إسحاق بن إبراهيم من عند المأمون ، حتى إذا صار إلى الدهليز الثانى وقف ، ووقف القواد والناس لوقوفه . ثم قال : أين خليفة على بن صالح ؟ وكان على ذلك الوقت صاحب أمر الدار والمرسوم بالحجبة . فأتى خليفته فضربه مائة مقرعة . ثم قال : الحبس . ثم قال : هاتوا خليفة صاحب البريد ، فأتى به ، فضرب مائة مقرعة . ثم قال : الحبس. ثم دعا بعلى بن صالح ، وبصاحب البريد ، وقال لهما : تقلدان خلافتكما فى دار الخلافة من يضيع الأمور ويهملها ... كنتما بهذا الأدب أحق من هذين ! فقالا : وما كان من أمرهما الذى أنكرته أيها الامير ؟ قال : صاحب بريد ، يقعد فى دار الخلافة فيضحك ويقهقه ، وصاحب الدار جالس لاينكر ... ! »[4] .

وفى جميع هذه الأسباب ذكرت كتب الأدب أخباراً أخرى أخذنا منها ما يقوم به الدليل على ما ذهبنا إليه ، ولم نعمد إلى التطويل .

أنواع السجون

نستدل مما اطلعنا عليه من النصوص أنه كان فى بغداد أنواع متنوعة من السجون . فهناك المطبق وهو حبس مظلم كبير ، كان المنصور قد بناه بين طريق البصرة وطريق باب الكوفة . وباسمه سمى الشارع الذى يقع هذا السجن فيه . وكان متين البناء قوى الأساس . وفى أهم سجون بغداد حتى عهد المتوكل »[5] . وكان فيها سجن آخر عند باب الشام ، إذا ذكروه قالوا : السجن الذى عند باب الشام وكان يهاجم دائما . وكان عليه عثمان بن نهيك ، وقتل فى فتنة الروابدية[1] فلما كان زمن المعتصم أمر أن يبنى حبس فى بستان موسى ، وكان القيم به مسروراً مولى الرشيد . يقول التنوخى « وكان هذا البناء يرى من دجلة إذا ركبها المرء وكان كالبئر العظيمة ، قد حفرت إلى الماء أو قريب منه ، وفيها بناء على هيئة المنارة مجوف من باطنه ، وله من داخله مدرج قد جعل فى مواضع من التدريج مستراحات ، وفى كل مستراح شبيه بالبيت ، يجلس فيه رجل واحد ، كأنه على مقداره ، يكون فيه مكبوباً على وجهه ، وليس يمكنه أن يجلس ولا يمد رجله[2] » .

ثم بنوا سجناً آخر سموه السجن الجديد . وكان موضعه إقطاعاً لعبد الله بن مالك[3] وبقى حتى جاء معز الدولة فهدم سوره سنة ٣٥٠ ، ونقل آجره إلى داره وبنى به[4] ، وفى سنة ٣٥٥ كتب إلى طاهر بن موسى أن يبنى موضع الحبس المعروف بالجديد بارستاناً[5] .

ولا نستطيع وصف مافيها على التفصيل ؛ وإنما نعلم أنها كانت ذات أقسام ، فحبس للزنادقة ، وحبس للعوام ، وحبس للنساء ، و ...

وكان فى المطبق الغرف الواسعات والضيقة . وكان فيه الآبار يسجن فيها . حدث يعقوب بن داود وزير المهدى قال حبسنى المهدى ، وذلك فى المطبق . فدليت بحبل فى بئر مظلمة لاأرى فيها الضوء[6] قد بنيت عليها قبة ، فكنت فيها خمس عشرة سنة[7] .

وربما سجنوا فى أماكن ومحال أخرى . فقد سجن سليمان ابن وهب فى كنيف قال : فأخذنى اسحق (بن ابراهيم ، صاحب الشرطة) وحبسنى فى كنيف ، وأغلق على خمسة أبواب . فكنت لا أعرف الليل من النهار[8] ، وسجن المحسن بن أبى الحسن بن الفرات فى كنيف داخل الحجرة ، ودلوا فى بئره رأسه

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٧٦

(٢)و(٣) الأغانى : ص ٤ ، ٥ ج ٥

(٤) الديارات للشابشتى (مخطوط) : دير مديان .

(٥) بغداد فى عهد الخلافة العباسية : لسترانج ص ٣٤ .

(١) ابن خلدون : ج ٣ ص ١٨٦

(٢) الفرج بعد الشدة للتنوخى ج ١ ص ١١٩

(٣) تاريخ بغداد للخطيب ص ٨٧

(٤) المنتظم لابن الجوزى ج ٧ ص ٢

(٥) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٣

(٦) الفخرى ص ٢٢١

(٧) الفرج بعد الشدة ج ١ ص ١٤١

(٨) المصدر السابق ج ٥ ص ٣٤

بعد أن قيد وألبس جبة صوف غمست بالنفط[1] . وربما سجنوا في الحجر الضيقة المظلمة ، حدث أبو الحسن بن أبي الطاهر قال : قبض محمد بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب في وزارته للقاهر بالله ، على أبي وعلي معاً فحبسنا في حجرة من دار ضيقة ، وأجلسنا على التراب[2] .

وكان الحبس الذي سجن فيه المهدي إبراهيم الموصلي مكاناً شبيهاً بالقبر مملوءاً بالأفاعي والبق[3] . ولما سير المنصور جماعة من أبناء علي إلى الكوفة حبسوا في سرداب تحت الأرض ، لا يفرقون فيه بين ضياء النهار أو سواد الليل[4] .

وربما سجنوا في دار منفردة ، كما فعلوا بأبي العتاهية لما طلب إليه الرشيد أن يتغزل فأبى ومنعوا دخول من يريد إليه .

ويذكر ابن الجوزي أن القاهر بنى المطامير ليحبس الجند فيها[5]

* * *

وأناس آخرون كانوا لا يسجنون في هذه المحال . فقد كانوا يحبسون من يخافون عليه عند الوزراء . كما سجن عبد الملك بن صالح عند الفضل بن الربيع لما غضب الرشيد عليه[6]، وكما سجن ابراهيم بن المهدي بعد القبض عليه وقبل العفو عنه ، عند أحمد ابن أبي خالد[7] . وربما أودعوا عند من يثق الخليفة به ، كما فعل الرشيد عند ما سجن موسى بن جعفر بدار السندي بن شاهك[8] .

وكانوا يتخذون قصور الخلفاء سجوناً في بعض الأحايين . فقد حبس المستعين بن المعتصم ، المعتز والمؤيد ابني المتوكل في حجرة من حجرات الجوسق الكبير[9] . ويقول لسترانج إن الخلفاء « اتخذوا دار الشجرة التي شيدها المقتدر ، حبساً رسمياً ، وضعوا فيه أقرب أقربائهم احتياطاً من أعمالهم . وجعلوا في خدمتهم عدداً من الغلمان والخدم ، وجهزوه تجهيزاً تاماً بوسائل الرفاهية والنعيم ، ومنعوهم من تخطي أسواره[1] .

ويذكر ابن الجوزي أن القاهر حبس في دار السلطان مدة إحدى عشرة سنة ، من (٣٢٢—٣٣٣) ، ثم أخرج إلى دار ابن طاهر ، فكان يحبس تارة ويخلى تارة[2] .

ومنذ القرن الرابع أخذوا يسجنون عند القهرمانات . فقد سجن ابن الفرات عند زيدان القهرمانة[3] ، وسلم إليها أيضاً الامير الحسين بن حمدان ، والوزير علي بن عيسى[4] .

في السجن

لا نعلم الكثير من أحوال السجناء في بدء العصر العباسي ؛ على أننا نورد لك ما كتبه أبو يوسف للرشيد عن المساجين لتصور لك ما كانوا عليه . فقد طلب أبو يوسف أن يؤمر بالتقدير لهم ما يقوتهم في طعامهم وأدمهم ؛ وأن يصير ذلك دراهم تجرى عليهم ، وتدفع في كل شهر إليهم « فإنك إن أجريت عليهم الخبز ذهب به ولاة السجن والقوام والجلاوزة . وول ذلك رجلا من أهل الخير والصلاح يثبت أسماء من في السجن ممن تجرى عليهم الصدقة ، وتكون الأسماء عنده ، ويدفع ذلك إليهم شهراً بشهر . يقعد ويدعو باسم رجل رجل ، ويكون الإجراء عشرة دراهم في الشهر لكل واحد ، وليس كل من في السجن يحتاج أن يجرى عليه » . ثم طلب أن تكون كسوتهم في الشتاء قميصاً وكساء ، وفي الصيف قميصاً وإزاراً ، وأن يجرى على النساء مثل ذلك ، وهذا يدلنا على سجن النساء ، وكسوتهن في الشتاء قميص ومقنعة وكساء ، وفي الصيف قميص وإزار ومقنعة .

(يتبع)

صلوح الدين المنجد

(١) تاريخ الوزراء للصابي : ص ٢٤٣
(٢) الفرج بعد الشدة : ج ١ ص ٥٢
(٣) الأغاني : ج ٥ ص ٥
(٤) مروج الذهب : ج ٢ ص ٢٠٠
(٥) المنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ٢٦٤
(٦) الطبري حوادث سنة ١٨٧ ج ١١
(٧) تاريخ بغداد لابن طيفور : ص ١٨٥
(٨) الفخري لابن طباطبا : ٢٣٣
(٩) الطبري حوادث سنة ٢٤٨

(١) بغداد في عهد الخلافة العباسية : لسترانج : ص ٢٢٠
(٢) المنتظم ج ٦ ص ٢٦٥
(٣) كتاب الوزراء للصابي ص ١٠٥
(٤) آدم متز ج ١ ص ٢٤٣ نقلا عن العيون والحدائق (مخطوط) ص ١٨٥ . برلين رقم ١٤٩١

العالم الجديد

للأستاذ زكريا إبراهيم

عصرنا الحاضر عصر مضطرب ثائر ، لا يكاد يجد له مثيلا في التاريخ الغابر . فنحن نواجه اليوم حالة لم تعرفها الأجيال الماضية لأننا نحيا في عالم جديد يعج بالمشاكل المعقدة والمسائل الصعبة . وهذه الحالة التي تفرضها علينا مقتضيات هذا العصر ، هي وليدة التطور الذي لحق الحضارة الإنسانية الحديثة . فليس من شك في أن علينا أن نكيف أنفسنا مع العالم المتغير الذي نحيا فيه ، على ضوء المعارف التي نحصلها من الحركة العلمية المستمرة . والمعرفة هي — وحدها — التي استطاعت أن تغير معالم الكون ، فلابد لنا إذن أن نعتمد على المعرفة ، حتى نستطيع أن نحقق التوافق بيننا وبين البيئة الجديدة التي نعيش فيها .

غير أن الخوف قد يقف حائلا دون مواجهة الموقف الحاضر في صراحة وقوة ؛ فإننا نخشى أن تقتادنا النظرة الجديدة للكون إلى الخروج عن معتقداتنا المألوفة وأفكارنا السابقة ، ولكن هذا الخوف نفسه دليل قوي على أننا نشك في صحة تلك الأفكار والمعتقدات ، ومن ثم فإننا نخشى أن نفحصها على ضوء الحقائق الجديدة والمعارف الحديثة . وإذن فالخوف ليس إلا مظهراً للشك والجهالة ، وبالتالي فإن من واجبنا أن نطرحه جانباً إذا أردنا أن نكون مخلصين لروح العصر .

لقد أصبحت الشجاعة أول ضرورة من ضرورات هذا العصر فإن قيام العالم الجديد رهن بما أوتينا من شجاعة وقوة وإقدام . وليس من واجب المفكر أن يرتد فزعاً أمام تلك التيارات الرجعية التي قد تثور في وجهه ، بل إن عليه أن يجهز بكلتا يديه على تلك الخيوط الخبيثة ، لكي يقذف بها في زوايا التاريخ !

وإنها لمسئولية خطيرة تلك التي تقع على عاتقنا اليوم ؛ فقد مضى ذلك العصر الذي كنا فيه نعتمد على القوى المجهولة والمصادر الخفية في استقاء معارفنا ومعلوماتنا . وليس علينا الآن إلا أن نعتمد على نفوسنا ونفكر لذواتنا ، في كل المسائل التي تواجهنا ؛ وما أكثر هذه المسائل !

إن أسلافنا كانوا يتوهمون أنهم قد عرفوا كل شيء منذ الولادة حتى ما بعد الموت ؛ أما نحن فقد أصبحنا لا ندري ماذا يحدث بعد الغد ! ومما لا ريب فيه أن للحرية الفكرية تكاليفها ؛ فإنها ترفع تلك اليد التي تقود زمامنا ، لكي تسلمنا إلى أنفسنا ، وهنا يكون علينا أن نبحث كل شيء من جديد ؛ ولكن لا كما يبحث الأعمى الذي يمسك بيده آخر ، بل كما يبحث المبصر الذي يتحقق من كل شيء بنفسه .

ولن يكون في وسعنا أن نحل المسائل كما كان يحلها أسلافنا لأننا لن نطمئن إلى تلك الحلول السريعة التي تثب إلى المطلوب دون بحث واستقصاء . بل إن حلاً ما ، مهما كان من صحته ودقته لن يكون حلا نهائيا حاسماً ، ما دامت معارفنا في تزايد مستمر وتقدم دائم ...

أما النزعة اليقينية التوكيدية ، فإنها لن تجد موضعاً في العالم الجديد ... وكيف يمكن أن توجد مثل هذه النزعة في عالم يرى أناسه الحقائق كما هي ، لا كما يقول بها مذهب معين أو رأي خاص ؟

إن العالم الجديد هو عالم الفكر الحر ، والبحث النزيه ، والخير العام . فلن يشهد فجر الغد حجراً على التفكير ، أو ميلا إلى الطعن والتشهير ، أو سعياً إلى الخراب والتدمير — وما دامت تلك الأصنام التي طالما تنابذ الناس من أجلها ، لابد أن تتداعى يوماً ، كما انهدكت عروش أصحابها ، فلا بد أن يأتي ذلك اليوم الذي يشرق فيه فجر الحضارة الإنسانية الصحيحة

ومن واجبنا الآن أن نعمل على هدم تلك الأصنام التي تعوق مجيء ذلك اليوم . حقاً إن الإنسانية طالما حرقت البخور لها ، وعفرت الجباه أمامها ، ولكنها قد أخذت تدرك اليوم أن من واجبها أن تهوي بمعولها على تلك الأصنام جميعاً ، فتأتي عليها عن آخرها — وما هذه الأصنام إلا الجهل ، والتعصب الذميم ، والنعرات القومية الفاسدة !

ولن يقوم في العالم سلام ، إلا إذا كان ذلك في أرجاء الأرض قاطبة ، ولن يكون ثمة رخاء ، إن لم يكن ذلك رخاء عاماً ، ولن يشرق فجر العالم الجديد ، إذا لم يعم نوره الشرق والغرب والشمال والجنوب !

فليعلم إذن أولئك الذين يرجون قيام عالم جديد تسود فيه الحرية والطمأنينة والرخاء ، أن عليهم أولا أن يقوضوا تلك الأصنام القديمة ، حتى يقيموا على أنقاضها بنيان العالم الجديد المنشود !

زكريا إبراهيم

من قصص هجا

٣ـ الغريق الناجي

للأستاذ كامل كيلاني

« صفحة مختارة من المخطوط المجهول النفيس الذي عثرت عليه ، ولعله مكتوب بخط صاحبه « أبي الفضل عبد الله دجين ابن ثابت » الملقب بهجا أو بخط أحد معاصريه » .

« ... منذ مائتين وألف من السنين كان « عبد الله دجين ابن ثابت » يسير خارج المدينة وقد ساد الظلام الكون ، فكاد يحجب الطريق عن العيون ، لولا بصيص ضئيل من ضياء النجوم، كانت ترسله السماء إلى الأرض ، كما يرسل الرجاء نوره إلى ظلمات النفس ، فيكشف من يأسها الحالك ، ويفتح لها طريقا نيراً تسلكه في ظلمات الحياة .

وساد الصمت وخيم السكون لولا نقيق الضفادع المرحة ، منبعثا من ضفة النهر . وجلس « عبد الله دجين » هادىء النفس مطمئنا ، برغم ما لقيه في ذلك اليوم من الكوارث والأحداث . ولولا أن بعض ما حل به من المصائب قد أصاب غيره لما وجد العزاء إلى نفسه سبيلا ، ولضاقت عليه الدنيا بما رحبت ، ودارت به الأرض قائما .

تسألني ماذا لقي « دجين » من النكبات . فاعلم — حفظك الله ورعاك وسلمك من كل سوء — أن بعض الأشرار قد أحرق بيته . وأن الزمن تنكر له فاستهدفت أسرته للجوع والمرض . ولم يكد أصحابه يرون ما حل به من الملمات حتى هجروه وابتعدوا عنه بعد أن كانوا يتوددون إليه ويلتمسون معونته . وانقبضت أيديهم عنه بعد انبساطها ، فلم تمتد إليه بالمساعدة يد واحد من أصدقائه وأصفيائه الذين كان يدخرهم للنوائب ويستبقيهم للشدائد ولم يكن ينقصه شيء ليكون أتعس خلق الله إنسانا .

ولولا عطف جارته « زبيدة » المحسنة على زوجه وولديه لهلكوا جوعا ، ولكن الله لطف بهم فسخرها لهم لتتعهدهم في أيام النحس والشقاء .

وقد لقي « دجين » تلك الخطوب والنكبات باسم الثغر وضاح الجبين ، مملوء القلب بنور اليقين . ولعلك تدهش إذا قلت لك إنه كان يشعر في تلك الليلة بطمأنينة وثقة لا حد لها .

وكانت الضفادع قد سكتت حين رأته قادما عليها ، فلما استقر به الجلوس على ضفة النهر ، عاودتها الشجاعة ، فأنست به واطمأنت إليه ، وأقبلت عليه وقد استولت عليها البهجة فراحت تقفز في الفضاء وترفع أصواتها بما تملكه من قبيح الغناء .

وأحس « أبو الفضل » صوت جسم يسقط في الماء ، وسمع استغاثة خافتة ضعيفة تنبعث في أثر الصوت طالبة النجدة والغوث .

فخف « دجين » إلى النهر ، واندفع إلى مكان الغريق حتى إذا داناه ، أسرع اليه ، فألقى بنفسه إلى الماء في غير تردد ولا وجل ، وما زال يسبح جاهدا حتى عثرت يداه بطرف ثوب فأمسك به وجذبه إليه ، وما زال به حتى أنقذ صاحبه من الغرق وحمله إلى الشاطىء .

وما كاد يتأمل وجه ذلك التاعس المشرف على الغرق ، بعد أن كتب الله سلامته على يديه ، حتى أبصر شيخا زرى الهيئة مغمى عليه . وما لبث الشيخ أن أفاق من غشيته فشخص إلى « دجين » بعينين صغيرتين يظللهما حاجبان كثيفان ، ثم قال له بصوت متهدج يكاد يختنق من البكاء :

« شكرا لك يا أخي ، على ما أسديته إلي من صنيع ، لقد خاطرت بحياتك لتنقذ حياتي ولولا ذلك لكان الهلاك نصيبي .

على أنني لا أدري — على التحقيق — أجميلا صنعت معي أم قبيحا ؟ ولا أعلم اليقين من أمري : أخيراً صنعت بي أم شراً ؟ »

فقال « دجين » : « أكنت تقصد عامدا إلى إغراق نفسك هذه الليلة ؟ »

فقال الشيخ : « أستغفر الله ! ذلك ما لا يدور ببال عاقل كريم ! لقد زلت قدمي وأنا أمشي على الجسر فهويت إلى النهر ، وخانني التيار في ظلام الليل الحالك ، فكنت لولاك من الغرقين »

فقال « دجين » : فما بالك تندم على نجاتك ، ولا تحمد الله على سلامتك ؟ »

فقال الشيخ في أسلوب حزين يفيض مرارة واكتئابا : الحمد لله على كل حال ! فإن كل ما ينالنا من خير أو شر مقدر

علينا لا حيلة لنا فى دفعه ، ولا سلطان لنا عليه » قال « دجين » « فما يحزنك من الدنيا ؟ »

قال الشيخ : « مثل لنفسك شيخا مثلى مات أسرته جميعا : زوجه وأولاده وبناته وإخوته وعشيرته ، وأقاربه الأدنون والأبعدون ، فأصبح فى شيخوخته يعيش بلا أسرة ، ولا يجد فى العالم كله قلبا يهفو إليه أو يعطف عليه ، ولا يظفر بمورد يعيش منه ، وقد حمل من أعباء السنين سبعين . كيف يكون شعور مثل هذا الرجل الفانى إذا هيأت له المصادفة أن يفرق ، ثم كتبت له السلامة مرة أخرى ؟ أتراه يسعد بذلك أم يشقى ؟ وهل يبتهج باسترداد حياته ؟ أم يأسف لخلاصه ونجاته ؟ إن للفتى والشاب — من أمثالك — آمالا كباراً يسعيان إلى تحقيقها والظفر بها فإذا بلغا ما بلغت من السنين وذرف (أى : زاد) على السبعين فأى أمل يبقى لهما فى الحياة ، وأى مطلب يسعيان له ويتمنيانه ؟

فقال « دجين » يناجى نفسه فى صوت خافت : « ما بال هذا الشيخ يستنكر البقاء ويلعن الحياة ! »

وكان سمع الشيخ مرهفاً ، فلم تفلت منه تلك الهمسة ، فقال لدجين قولة الواثق المتثبت مما يقول : « كلا — ياصاحبى — لا تسىء ظنك بى فما أنا بمبغض للبقاء ولا كاره للحياة ! كلا لا أستنكرها كما ظننت ، ولا ألعنها كما توهمت ! بل أنا أحتقر من يفعل ذلك أشد الإحتقار . وقد عشت طول حياتى مؤمنا بالله مستسلما لقضائه وقدره ، مفوضاً أمرى له . يقبض روحى متى اقتضت إرادته ذلك . ولم يمنعنى ذلك عن السعى فى مناكب الأرض فى طلب الرزق . ولكنها تأوه محزون ، وكلمة حمقاء سبقت إلى لسانى فنطق بها فى ساعة يأس ، دون أن يتدبر عقلى مغزاها ، أو يتثبت فكرى من معناها !

ثم أطرق الشيخ ، وكأنه خجل مما فاه به لسانه من كلمات الخور والضعف فطأطأ رأسه برهة . ولكن « دجينا » قطع صمته عليه حين سأله :

« من الرجل ؟ » فقال : « أنا لعلع بن دعدع » وكنيتى « أبو شمشع » . فخبرنى أنت ما بالك منفردا فى مثل هذا الوقت وفى مثل هذه الصحراء الموحشة ؟ وما بالك تؤثر العزلة والانفراد فى ظلام الليل ، كأنما تفر من أبناء جنسك ! ولئن صحت فراستى فما أنت بسعيد فى حياتك قط » . فقال « دجين » : « كلا — يا صاحبى — فإن السعادة لم تفارق نفسى قط ، وما أذكر أنى شعرت بالتعاسة يوما واحدا طول عمرى ، على كثرة ما أصابنى من المحن والمصائب والآلام ؛ فإن الحزن والسرور — فيما أرى — يتعاقبان على الإنسان كما يتعاقب عليه الليل والنهار .

ولو أردنا أن نستديم السرور أو الحزن لعجزنا عن ذلك كما يعجز من يحاول أن يستديم الليل أو النهار . ألا ترى كيف تتعاقب علينا الفصول الأربعة فى أثناء السنة : فتمر بنا صيفا يتلوه خريف ، وشتاء يتلوه ربيع ؟

كذلك يتعاقب علينا الحزن والفرح ، والانقباض والانبساط ، واليأس والرجاء ، والشدة والرخاء ، والعسر واليسر ، والفقر والغنى ، والظلمة والنور ، والمرض والصحة » .

فقال الشيخ : « ما سمعت فى كلامى أحسن من حديثك ، ولا أحكم من رأيك . ولئن صح ظنى ليكونن لك شأن عظيم فى حياتك وبعد مماتك . فمن تكون أيها السيد الكريم ؟ » .

فقال : « أنا عبد الله دجين بن ثابت » ، وكنيتى : أبو الفضل ، ولقبى : جحا » .

فقال لعلع : « وما صناعتك ؟ »

فقال دجين : « كنت بالأمس ، تاجرا كبيرا يشار إليه بالبنان ، ولكن حريقا شب فى بيتى ومخزنى — منذ أيام — أتى على كل ماأملك من أثاث وبضائع ، فلم يبق لى — مما ملكت — كثيرا ولا قليلا . ولقد تداركنا الله بلطفه ورحمته ، فسلم كل من فى الدار : سلمت زوجى وولدى وابنتى . فشكرا لله على لطفه بنا . ولقد كدنا نهلك جوعا لولا جارتنا الكريمة التى مدت إلينا يد المعونة ، وتكفلت بإطعام زوجى وولدى .

أما الجانى الذى أوقد النار فى بيتى ومخزنى فقد فر ، ولم يقف له أحد على أثر :

فقال الشيخ لعلع : « لقد أنستنى مصائبك — ياأبا الفضل — كل ما لقيت فى حياتى من أحداث وآلام . ثم ارتعش جسم الشيخ ، فقال وهو يصرف نابه[1] : « كيف تكون الدنيا

(١) أى يحك ضرسه فيسمع له صوت .

إذا خلت من أهل المساعدة والمون من كرام المحسنين » .

فظن « دجين » أن الشيخ يرتجف مثله ألما ، لالتصاق ثيابهما المبللة بأعضاء جسميهما . وحسبه يستجديه المعونة فقال : « دعنا من حديث الأحزان ، فليس منه فائدة ، وسينقضي وقت الشدة — إذا صبرنا لها — ثم يعقبها وقت الرخاء ، فتنسينا بهجته جميع ما كابدناه من مصائب وآلام ، ومتى صبر الإنسان لجهد نازلة أصابته ، ووطن نفسه على احتمالها وابتسم للكرارث والنكبات غير هياب ولا وجل ، لم تلبث أن تنجلي عنه ويساها كما نسي غيرها من المصائب والآلام . والعاقل هو من يرضى بأحكام القضاء ، فلا يستسلم للضعف ، واثقا أن لكل شدة مدة ثم ينقضي معها ، فإذا صمد لها غلبها وانتصر عليها . ثم صمت قليلا ، واستأنف حديثه قائلا : هلم يا أبا شمشع فانبعني إلى داري فإنك واجد فيها — على ضيقها — مكانا تأوي إليه ، وسنحضر لك بعض الحشائش والأعشاب توقدها لتجفف ثيابك المبتلة . فأطرق « لعلع » لحظة ، ثم قال لدجين « قبلت ضيافتك ، يا أبا النصن ، ولعل الله — سبحانه — يوفقني ذات يوم إلى أداء هذا الدين الجميل إليك » .

فقال « دجين » : « إن في صنع المعروف لذة يتضاءل أمامها كل جزاء مهما عظم ، وتصغر بالقياس إليها كل مكافأة مهما جلت . وحسبي سرورا أن يمكنني الله من القيام بواجب الضيافة ، دون نظر إلى جزاء أو شكر .

إن خير ما يكافأ به المحسن — ياسيدي — هو شعوره بأنه أدى واجبه ، وفرحه بقدرته على فعل الجميل ، وحسب الطيب مكافأة له أنه طيب . هلم فاعتمد ذراعي واتكيء عليها لتساعدك على السير » .

فقال « لعلع » : « ما أبعد نظرك ، وأحكم رأيك ، وأصدق نيتك ، وأسلم طويتك ! إني لأتنبأ لك بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . وسيتولى الله — سبحانه — حمايتك ، ويخلد على مر الزمان اسمك وسمعتك ، ويسخر لك الإنس والجن لمعاونتك وخدمتك ، ويجعلهم طوع مشيئتك ، ورهن إشارتك » .

ثم مشى كلاهما في ضوء النجوم المتألقة في السماء ، يلفهما ظلام الليل ، ويؤنسهما نقيق الضفادع ، ويحوطهما الله برعايته ، ويكلؤهما بعنايته .

كامل كيلاني

الحكاية الأزلية

الأستاذ إيليا أبو ماضي

[أخرج الأستاذ نجدة فتحي صفوة مدرس اللغة العربية بكلية بغداد ، الحلقة الأولى من سلسلة الشعراء المعاصرين التي اعتزم إصدارها ، وهي كتاب لطيف الحجم في (إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر) ألم فيه إلمامة بليغة حسنة بأدب إخواننا العرب المهاجرين إلى أمريكا ، ونوه بمزاياه وخصائصه ، ثم دل على مكانة أبي ماضي منه ، وذكر طرفاً من حياة الشاعر وطرفاً من أدبه في أسلوب بليغ وعرض مشوق . وقد ختمه بهذه القصيدة الجديدة لأبي ماضي ، كما افتتحه بمقدمة نفيسة للأستاذ وقائيل بطي عميد الصحافة العراقية في وجوب العناية بتراجم المعاصرين وتسجيل أخبارهم وآثارهم . والكتاب والمقدمة من خير النماذج لأدب العراق الحديث] .

توطئة

كان زمان ، لم يزل كائنا ... وحالة ، ما برحت باقيه

مل بنو الإنسان أطوارهم ... وبرموا بالسقم والعافيه

فاستصرخوا خالقهم واشتهوا ... لو أنه كونهم ثانيه

وبلغت أصواتهم عرشه ... في ليلة مقمرة صافيه

فقال : إني فاعل ما اشتهوا ... لعل فيه حكمة خافيه

وشاهدوه هابطاً من علٍ ... فاحتشدوا في السهل والرابيه

من القرى الكئيبة العارية ... والمدن الضاحكة الزاهيه

تألبوا من كل صوب كما ... تجتمع الأمطار في الساقيه

يسابق الصعلوك رب الغنى ... والأبلهُ البساقمةَ الداهيه

ويدفع الشيخ الشوقي عوده ... وصار مثل الرمة البالية

فتى مضى الفجر ولما تزل ... روعته في وجهه باقيه

وترجم الحسناء ممكورة ... خلابة كالروضة الحاليه

دميمة تشبه في قبحها ... مدينة مهجورة عافيه

فقال رب العرش : ماخطبكم ، ... ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟

هل أصبحت أرضكمُ عاقرا ... أم غارت الأنجم في هاويه ؟

أم أقلع الماء فلا جدول ... وماتت الطير فلا شاديه ؟

أم فقدت أعينكم نورها ... أم غشيت أرواحكم غاشيه ؟

أين الهوى ، إن لم يكن قد قضى ... فكل جرح واجد آسيه

إذا خلت من أهل المساعدة والمون من كرام المحسنين » .

فظن « دجين » أن الشيخ يرتجف مثله ألما ، لالتصاق ثيابهما المبللة بأعضاء جسميهما . وحسبه يستجديه المعونة فقال : « دعنا من حديث الأحزان ، فليس منه فائدة ، وسينقضي وقت الشدة — إذا صبرنا لها — ثم يعقبها وقت الرخاء ، فتنسينا بهجته جميع ما كابدناه من مصائب وآلام ، ومتى صبر الإنسان لجهد نازلة أصابته ، ووطن نفسه على احتمالها وابتسم للكرارث والنكبات غير هياب ولا وجل ، لم تلبث أن تنجلي عنه ويساها كما نسي غيرها من المصائب والآلام . والعاقل هو من يرضى بأحكام القضاء ، فلا يستسلم للضعف ، واثقا أن لكل شدة مدة ثم ينقضي معها ، فإذا صمد لها غلبها وانتصر عليها . ثم صمت قليلا ، واستأنف حديثه قائلا : هلم يا أبا شمشع فانبعني إلى داري فإنك واجد فيها — على ضيقها — مكانا تأوي إليه ، وسنحضر لك بعض الحشائش والأعشاب توقدها لتجفف ثيابك المبتلة . فأطرق « لعلع » لحظة ، ثم قال لدجين « قبلت ضيافتك ، يا أبا النصن ، ولعل الله — سبحانه — يوفقني ذات يوم إلى أداء هذا الدين الجميل إليك » .

فقال « دجين » : « إن في صنع المعروف لذة يتضاءل أمامها كل جزاء مهما عظم ، وتصغر بالقياس إليها كل مكافأة مهما جلت . وحسبي سرورا أن يمكنني الله من القيام بواجب الضيافة ، دون نظر إلى جزاء أو شكر .

إن خير ما يكافأ به المحسن — ياسيدي — هو شعوره بأنه أدى واجبه ، وفرحه بقدرته على فعل الجميل ، وحسب الطيب مكافأة له أنه طيب . هلم فاعتمد ذراعي واتكيء عليها لتساعدك على السير » .

فقال « لعلع » : « ما أبعد نظرك ، وأحكم رأيك ، وأصدق نيتك ، وأسلم طويتك ! إني لأتنبأ لك بالفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . وسيتولى الله — سبحانه — حمايتك ، ويخلد على مر الزمان اسمك وسمعتك ، ويسخر لك الإنس والجن لمعاونتك وخدمتك ، ويجعلهم طوع مشيئتك ، ورهن إشارتك » .

ثم مشى كلاهما في ضوء النجوم المتألقة في السماء ، يلفهما ظلام الليل ، ويؤنسهما نقيق الضفادع ، ويحوطهما الله برعايته ، ويكلؤهما بعنايته .

كامل كيلاني

الحكاية الأزلية

الأستاذ إيليا أبو ماضي

[أخرج الأستاذ نجدة فتحي صفوة مدرس اللغة العربية بكلية بغداد ، الحلقة الأولى من سلسلة الشعراء المعاصرين التي اعتزم إصدارها ، وهي كتاب لطيف الحجم في (إيليا أبو ماضي والحركة الأدبية في المهجر) ألم فيه إلمامة بليغة حسنة بأدب إخواننا العرب المهاجرين إلى أمريكا ، ونوه بمزاياه وخصائصه ، ثم دل على مكانة أبي ماضي منه ، وذكر طرفاً من حياة الشاعر وطرفاً من أدبه في أسلوب بليغ وعرض مشوق . وقد ختمه بهذه القصيدة الجديدة لأبي ماضي ، كما افتتحه بمقدمة نفيسة للأستاذ وقائيل بطي عميد الصحافة العراقية في وجوب العناية بتراجم المعاصرين وتسجيل أخبارهم وآثارهم . والكتاب والمقدمة من خير النماذج لأدب العراق الحديث] .

توطئة

كان زمان ، لم يزل كائنا ... وحالة ، ما برحت باقيه

مل بنو الإنسان أطوارهم ... وبرموا بالسقم والعافيه

فاستصرخوا خالقهم واشتهوا ... لو أنه كونهم ثانيه

وبلغت أصواتهم عرشه ... في ليلة مقمرة صافيه

فقال : إني فاعل ما اشتهوا ... لعل فيه حكمة خافيه

وشاهدوه هابطاً من علٍ ... فاحتشدوا في السهل والرابيه

من القرى الكئيبة العارية ... والمدن الضاحكة الزاهيه

تألبوا من كل صوب كما ... تجتمع الأمطار في الساقيه

يسابق الصعلوك رب الغنى ... والأبلهُ البساقمةَ الداهيه

ويدفع الشيخ الشوقي عوده ... وصار مثل الرمة البالية

فتى مضى الفجر ولما تزل ... روعته في وجهه باقيه

وترجم الحسناء ممكورة ... خلابة كالروضة الحاليه

دميمة تشبه في قبحها ... مدينة مهجورة عافيه

فقال رب العرش : ماخطبكم ، ... ما بالكم صرخاتكم عاليه ؟

هل أصبحت أرضكمُ عاقرا ... أم غارت الأنجم في هاويه ؟

أم أقلع الماء فلا جدول ... وماتت الطير فلا شاديه ؟

أم فقدت أعينكم نورها ... أم غشيت أرواحكم غاشيه ؟

أين الهوى ، إن لم يكن قد قضى ... فكل جرح واجد آسيه

الفتى

قال الفتى : يارب إن الصبا ... مصدر أحزانى وآلامى
أبلستنيه موبقاً بعد ما ... أبلاه أخوالى وأعمامى
وصار فى مذهبهم عصره ... فترة زلات وآثام
فاختلفت حالى وحالاتهم ... كأننى فى غير أترابى
وصرت كالجدول فى فدفد ... أو شاعر ما بين أصنام
والأخضر الورق فى يابس ... أو مثل صاح بين نوام
دنياهم دنياى ... لكنها ... أعلامهم ليست كأعلامى
عندهم الرونق أشجارها ... والروض عندى الزهر الناى
والطير لحم ودم عندهم ... وليس عندى غير أنغام
سكرى بها أو بالندى والشذى ... وسكرهم بالخمر فى الجام
يسخر قلبى بلياليهم ... ويسخر الدهر بأيامى
كأننى جئت لتبكيتهم ... كأنما جاءوا لإيلامى
عجبت على نفسى هذا الصبا ... الجانص المستوفز الطامى
يزرع بحولى زهرات المنى ... وشوكها فى قلبى الدامى
فان ... له فى كل فان هوى ... فان ... ولا ينجو من الذام
خذه ... وخذ قلبى وأحلامه ... فإننى أشقى بأحلامى
وهى يمر الدهر فى لحظة ... كالطيف ... أو كالبرق قدامى
وازرع نجوم الشيب فى لمتى ... فينجلى حندس أوهامى
وأبعثر الحكمة فى ضوئها ... إنى إليها جائع ظامى

الشيخ

وجاء شيخ حائر واجف ... مشتمل اللمة بالى الإهاب
كأنما زلزلة تحته ... لها به من رعشة واضطراب
فصاح : يا رباه خذ حكمتى ... وارددعلى عبدك عصر الشباب
إن أمانى الروح أزهارها ... وإن روحى اليوم قفر يباب
لا جدول لا بلبل منشد ... بلى بها الوحشة والاكتئاب
تلك الأمانى ... على كذبها ... لم تكن اللذة فيها كذاب
زالت وما زلت ... وإن الشقا ... أن تطمس الآى ويبقى الكتاب
وتسلب السرحة أوراقها ... ولم تزل أعراقها فى التراب
قيل لها فى البحر كل المنى ... فلم تجد فى البحر إلا الضباب

كنت غنياً فى زمان الصبا
وكنت صفر الكف صفر الوطاب

صحوت من جهلى فأبصرتنى ... كأننى سفينة فى العباب
نأت عن الشط ولم تقترب ... شبراً من السر الذى فى الحجاب
ولو ترجى أوبة لاشتفت ... لكنما عز عليها الإياب
ما تقف الأيام عن سيرها ... فإنها تركض مثل السحاب
وضع أمامى لا ورائى المنى ... وطوّل الدرب وزد فى الصعاب
ما لذتى بالماء أروى به ... بل لذتى فى العدو خلف السراب

الحسناء

وقالت الحسناء : يا خالقى ... وهبتنى الحسن فأشقيتنى
وجهى سنى مشرق إنما ... مرمى عيون الخلق وجهى السنى
حظى منه حظ ورد الربى ... من عطره الفواح والحسن
ومثل حظ المرو من فيئه ... والطير من تغريدها المتقن
ومثل حظ النجم من نوره ... فى الحندس المعتكر الأدجن
للقائل الفيء ... وللسامع ... التغريد ... والزهرة للمجتنى
والنور للمدلج والمجتلى ... والبر للغائص والمجتنى
كم ريبة دبت إلى مضجعى ... مع الجمال الرائع الممكن
إن عشقت نفسى فويل لها ... والويل لى إن زجل حبنى
الدم والشوك وجمر الغضا ... أهون من كاشحة الألسن
كم تقتفينى نظرات الخنا ... ويلى من خائنة الأعين
لم يبق فى روحى من موضع ... يا رب لم يخدش ولم يطعن
إن الغنى فى الوجه لى آفة ... فليت أنى دميمة ليتنى

الجارية

وسكتت ... فصاحت الجاريه ... باكية من بؤسها شاكيه :
ذنبى إلى هذا الورى خلقتى ... فهل أنا المجرمة الجانيه ؟
إن أخطأ الخزاف فى جبله الـ ... طين ، فأى الذنب للآنيه ؟
أليس من يسخر بى زدرى ... بالقوة الموجدة الباريه ؟
لو كنت حسناء بلغت العلى ... فللجمال الرتبة العاليه
وبت من أسجد قدامه ... صاغرة يسجد قدميه
فإننى فى ملأ ظالم ... أحكامه جائرة قاسيه
ليس لذات القبح من غافر ... وفيه من يغفر للزانيه ...

نفسي جزء منك يا خالق ... وإنها عاقلة راقيه
أليس ظلماً وهي بنت العلى ... إن تك بالقبح إذن كاسيه ؟
فليكن الحسن رداء لها ... ترفل به أو فلتكن عاريه

الصعلوك

وأقبل الصعلوك بسترحما ... في مقلتيه شبح اليأس
يصرخ يا رباه حتى متى ... تحكم الوسر في نفسي
وتضع التاج على رأسه ... وتضع الشوك على رأسي
ويشرب اللذات من كأسه ... وأجرع الغصات — من كأسي
وتنجلي النجوم في ليله ... ضاحكة كالعيد في عرس
ويتوارى في نهاري السنا ... أو يتبدى حانق الشمس
يا رب لا تنقله عن أنسه ... ولكن انقلني إلى الأنس
فإن تشأ ألا يذوق الهنا ... قلبي فجردني من الحس
لو لم يكن غيري في غبطة ... ما شعرت روحي بالبؤس.

الغنى

وقال ذو الثروة : ما أشتهي ... لا أشتهي أنيَ ذو ثروة
أنفقت أيامي على جمعها ... وخلتني أدركت أمنيتي
فاستعبدتني في زمان الصبا ... وأوقرت بالهم شيخوختي
قد ملكتني قبلما حزتها ... وملكتني وهي في حوزتي
كنحلة أمسكها شهدها ... من الجناحين فلم تفلت
حسبتها تكسبني قوة ... فافترست قوتها قوتي
جنت على نفسي وأحلامها ... جناية الشوك على الوردة
ينمو فتنوى فهي عليقة ... يحذرها الطائف بالروضة
من قائل عني لمن خالني ... امرح من دنياي في جنة
لا تنظر الأضواء في حجرتي ... وانظر إلى الظلماء في مهجتي
ولا يغرنك قصري فما ... قصري سوى سجن لحريتي
إني في الصرح الرفيع الذرى ... كطائر — في قفص — ميت
كم في عباب البحر من سابح ... قد مات ظمآنَ إلى قطرة
موت الطوى شر ولكنما ... أفظع منه الموت بالتخمة
إن سهر العاشق من لوعة ... أو سهر المحزون من كربة
فالشوق كالحزن له آخر ... وينقضي في آخر المدة
أما أنا فقلقي دائم ... ما دمت في مالي وفي فضتي
والخوف من كارثة لم تقع ... أمض من كارثة حلت
كم من فقير مر بي ضاحكا ... كأنما يسخر من نفسي
رأيته بالأمس من كوتي ... فخلتني أنظر من هوة
وكنت كالحوت رأى موجة ... ضاحكة ترقص كالطفلة
أو حية تدب في منجم ... ترنو إلى فراشة حرة
قد اختفت ذاتي في بردتي ... فما يرى الخلق سوى بردتي
فهم إذا ما سلموا سلموا ... على خيوط البرد والجبة
رباه أطلق من عقال الغنى ... روحي فإني منه في عنتي
وانزع مع الدينار من قبضتي ... صلابة الدينار من سحنتي
وحول المال إلى راحة ... وحول القصر إلى خيمة

الأبد

وصرخ الأبله مستفسراً ... ما القصد من خلق كذا والمراد؟
ألم يكن يكمل هذا الورى ... إلا إذا أوجدتني في فساد ؟
في صورة الناس وحاجاتهم ... من مطعم أو مشرب أو رقاد
لكن لبي غير ألبابهم ... فإنه مكتنف بالسواد
يعجزني إدراك ما أدركوا ... كأن عقلي نغمة أو رماد
إن كنت إنساناً فلم يا ترى ... لست بإدراكي كباقي العباد ؟
أو لم أكن منهم فمم أكن ... جرادة أو أرنباً أو جواد ؟
فالبد لا يعدم من بده ... ذريعة للثم أو للجهاد
لا تسخر النملة من نملة ... وليس يزري بالقراد القراد
أم أنت كالعقل على رغمه ... ينمو مع الحنطة فيه التتاد

البائس

وجاء بعد الأبله المستريب ... الألمعي العبقري اللبيب
فقال : إني تائه حائر ... أنا غريب في مكان غريب
أبحث عن نفسي فلا أهتدي ... وليس يهديني إليها أريب
أنا عليم حيث لا عالم ... أنا لبيب عند غير اللبيب
لو أنني كنت بلا فطنة ... سرت ولم تكثر أمامي الدروب
وكان عقلي كعقول الورى ... وكان قلبي مثل باقي القلوب
وصار عندي كالنجوم الورى ... فلا عدو فيهم أو حبيب
ولم أجد في ضحكهم والبكا
شيئاً سوى الضحك وغير النحيب

رأي عظيم في (دفاع عن البلاغة) :

[أرسل إلينا حجة الفقهاء، وعمدة القضاة الأستاذ عبد العزيز فهمي باشا رأيه في (دفاع عن البلاغة) نحلله شاكرين له (الرسالة) إجلالا لتوجيهه واعتزازاً بتوجيهه] :

تفضلت فأهديت إليّ كتابك القيم (دفاع عن البلاغة) فقرأت نصفه في مجلس واحد، ثم قرأت نصفه الآخر في صباح اليوم التالي، وخرجت من قراءته هذا الكتاب الممتع بأن دراسته لا تصلح للمبتدئين ولا لأنصاف المتعلمين، لأنه مقارنة قوية لبلاغة العربية ببلاغات اليونانية واللاتينية والفرنسية وغيرها؛ ودراسة هذه المقارنة إنما تصلح للمتخصصين في علوم العربية، ويسرني أن أسمع يوماً أن إدارتي جامعتينا قد قررتا تدريس هذا الكتاب لطلاب التخصص في اللغة العربية؛ فإنهم بالمقارنة بين ما قاله علماؤنا وبين ما قاله العلماء الأجانب قديماً وحديثاً يستطيعون أن يحددوا مركز علمائنا السامي بين رجال البلاغة في كل بلد، وأنت سيد العارفين بأن هذه المقارنة تفتق الأذهان وتوسع الآفاق؛ وهي خطوة لابد منها لشرقنا حتى يستطيع الناقص أن يتم، والتام أن يكمل، والكامل أن يكون على بينة من كماله.

وكتابك هذا يا كورة خير ظهر معها كتاب آخر أطلعني بعضهم عليه وهو كتاب (التصوير الفني في القرآن) للأستاذ سيد قطب الذي يتم عن تحرر في العقل لم يتفق أن سمعنا بمثله من قبل. وكتابك وكتابه كوكبان يضيئان الأفق لمن يتلهف مثلي على الرؤية في وضح النهار.

عبد العزيز فهمي

التاريخ القومي في المدرسة الابتدائية

وزعت وزارة المعارف جدول الدراسة في المدارس الابتدائية هذا العام على أساس ست وثلاثين حصة بدلا من تسع وثلاثين.

ولا يعنينا أمر هذا العدد في ذاته، ولكن الذي يعنينا أمره كثيراً هو أن الوزارة قد حذفت — فيما حذفت — حصة التاريخ الوحيدة التي كان يتلقاها تلاميذ السنة الثانية في كل أسبوع.

وقد كان موضوع هذه الحصة قصصاً عن حياة قدماء المصريين وبعض الفراعنة المشهورين مثل بناة الأهرام وامنحتب وحتشبسوت ... الخ.

وكانت هذه القصص على ضآلتها وتفككها هي الخيط الوحيد الذي يربط التلاميذ بتاريخهم القومي العظيم، والصورة الوحيدة التي تعرض عليهم من عصر كان أزهى العصور في تاريخ العالم كله يوماً من الأيام.

فاليوم تريد وزارة المعارف أن تقطع هذا الخيط الضئيل وتطمس تلك الصورة الباهتة: وكان واجبها يقتضي أن تقوى كل ما يربط التلميذ بقوميته وأن تؤكده توكيداً وتلح على التلاميذ في استيعابه بأن تخلق له الفرص خلقاً في كل درس وفي كل مناسبة؛ لا أن تلغي الفرصة الوحيدة التي كانت متاحة للتلاميذ.

وقد كان للوزارة مندوحة عن إلغاء هذه الحصة فلديها وفر من حصص اللغة الانجليزية التي ألفتها مشكورة لتوفر على التلاميذ الجهد وتتيح لهم الفرصة ليتعرفوا على لغتهم القومية وكيانهم القومي!

أسائل كوكباً طالعاً لماذا تبدو، ولماذا تغيب؟
ولم أقف في الروض عند الضحى يذهلني لون وشكل وطيب
ولم أقل ما كنت من قبلما
كنت، ولا ما في سجل الغيوب،
ما العقل يا رب سوى محنة لولاه لم تكتب على الذنوب

الخاتمة

لما وعى الله شكايا الورى قال لهم: كونوا كما تشتهون
فاستبشر الشيخ وسر الفتى والكاعب الحسناء والحيزبون
لكنهم لما اضمحل الدجى لم يجحدوا غير الذي كانا
هم حددوا القبح فكان الجمال وعرفوا الخير فكانا الطلاح
وليس من نقص ولا من كمال فالشوك في التحقيق مثل الأقاح
وذرة الرمل كظل الجبال وكالذي عز الذي هانا

إيليا أبو ماضي

أجل ! ما كان أجدر رجال التعليم أن يستغلوا بعض هذه الحصص الزائدة فى تقوية الروابط التى تربط التلاميذ بوطنهم وقوميتهم وتنمية البذرة التى تنشىء فى المستقبل جيلا معتزا بوطنه حريصاً على وجوده .

وبدل أن تحول اثنتان من هذه الحصص الزائدة إلى «قصص» عام لا هدف له ، كان الأولى أن تكون هاتان الحصتان أو إحداهما على الأقل قصصاً قومياً يهدف إلى غاية وطنية نبيلة . وخاصة حين نعلم أن الوزارة تنوى — فى النظام الجديد — أن تجعل السنة الثانية الابتدائية نهاية لمرحلة تعليمية . فلا يجوز أن تنتهى تلك المرحلة دون أن يعرف التلميذ فيها شيئاً عن أحد المقومات الضرورية لشخصيته .

ولا أحسب أن حذف هذه الحصة أمر مقصود لذاته وإنما هى ضربة من ضربات « المقص » جاءت على غير هدى !

ولكنى أرجو وزارة المعارف أن توازن جداولها على حساب أى شىء إلا الكيان القومى للتلاميذ .

محمد قطب

بين الأستاذين قطب وخلوف :

نشرت مجلة « الرسالة » الغراء فى أعدادها السابقة مناقشات علمية طيبة فى موضوع على جانب كبير من الخطورة والإجلال ، هو موضوع إعجاز القرآن بين الأستاذين الفاضلين خلاف وقطب — وكنت متتبعاً باهتمام بالغ ما كتب الأستاذان ، غير أنى لحظت أموراً فيما كتبا . ذلك أن كلا منهما قرر حقاً لا مراء فيه سوف أنبه إليه والعجب أن كليهما أخذ على صاحبه ذلك الحق وماري فيه ، دون مبرر لذلك إلا شدة الحرص على الرأى الفردى من غير نظر أو اعتبار لرأى الآخر ؛ وهذا إسراف منهما .

١ — الأستاذ سيد قطب يقرر فى كتابه أن «التصوير الفنى» جانب كبير اعتمد عليه القرآن الكريم فيما ساق من وجوه الاستدلال فى بيان أن ديكتاتورية الأولين من الشعوب الغابرة — لم يكن نصيبها إلا الانهيار ، فهذا القصص البارع فى معرض العظة والاعتبار بمن غبر من الأمم ، وهذا الحوار التمثيلى الذى دار بين الخضر وموسى فى سورة الكهف ، والذى ساقه الله بين موسى وفرعون فى سورة الشعراء ؛ كل أولئك تصوير فنى بارع معجز لأمراء البيان فى جميع العصور الغابرة « ماضية أو آتية » ؛ وإذن فهذا وجه آخر من وجوه إعجاز القرآن دون ريب ، يضاف هذا الوجه الذى زاده الأستاذ سيد إلى وجوه الإعجاز الأخرى التى دونها العلماء — وهذا سداد فى الرأى وتوفيق نهنئه عليه .

أنكر الأستاذ خلاف أن يكون التصوير الفنى وجهاً غالباً من وجوه الإعجاز — واحتج لذلك بقوله لأنه « أى الربط بين التصوير وسر الإعجاز » يفسر إعجاز القرآن بأمور فى مستوى الصنعة البشرية » . فالتصوير الفنى فى نظر الأستاذ خلاف سبيل مألوفة للأدباء من البشر ، وأسلوب من أساليبهم من الممكن أن يسلكوه وهنا كما يقول الأستاذ الخطر كل الخطر ، ثم راح الأستاذ خلاف يؤيد إنكاره بكلمة للأستاذ العقاد ردا على الأديب الفذ المرحوم الرافعى قال « وإنما الأساس فيها المعجزة ، والحكمة الأولى أنها تخرق النواميس المعروفة »

والأستاذ خلاف فى هذا الإنكار مسرف ، مجانب للحق والصواب — فليس ثمت خطورة كما يقول بل الأمر الذى أدرك منه خطورة ، وهو كون التصوير الفنى طريقاً مألوفة للبشر — ولفصحاء العرب وأبنائهم أن يستخدموه فى مستوى رفيع فيه الوحدة والتناظر » أقول هذا الأمر الذى خشيه هو الشرط الأساسى فى الإعجاز — وذلك أن القرآن نفسه جاء من جنس كلام العرب ، ومن لغتهم وعلى طرق من القول صرفها لهم ، وطائفة من الأمثال ضربها فيهم ، ومن المقطوع به البتة أنهم كانوا يعلمون هذه الطرائق التى سار فيها القرآن لغة ومعنى وأسلوباً وخيالا ولو من طريق الإجمال — أو قل على حد تعبير المناطقة إنهم كانوا يعلمون هذا بالقوة ، ولكنهم لا يعلمون ، هذا بالفعل ، ولعل هذا ما جعل النظام يرى أن العرب أو الناس صرفوا عن الأتيان بمثله ومن هذا يبين ويضح أن القرآن فى إعجازه البشر وتحديه سلك طرائق مألوفة معهودة لهم . وهذا ضرورى حتى يكون التحدى ، وحتى يكون الإعجاز ، إذ لا معنى فى أن أتحداك أو أعجزك فى لغة أو شىء ما لا تعرفه ، بل يجب أن يكون موضوع التحدى والإعجاز مألوفاً معروفاً لك حتى يتم معنى الإعجاز والتحدى ؛ وإذن فلا ضير ولا خطر أن يكون التصوير الفنى فى مستوى الصنعة البشرية ثم

هو بعد وجه من وجوه الإعجاز على هذا النحو المبتدع الذي نحاه القرآن — بل هو غاية في الإعجاز وحاداه .

أقول وإذا كان التحدي من طريق ممكنة معهودة للمخاطبين كان أدخل ، وأمعن ، وأبلغ في باب الإعجاز .

وإذا كانت للمعجزة يجب أن تخرق النواميس الطبيعية ، وأن تشذ عن السنن المطردة في حوادث الكون كما يذكر الأستاذ العقاد — فهذا المعنى موجود ملحوظ في الأمور التي يتحدى للاعجاز كهذا الذي نحن بسبيله — فالشذوذ هنا والخرق لناموس الطبيعة أنهم عجزوا من حيث لا ينبغي أن يعجزوا .

٢ — يرى القارئ الفاضل مما تقدم أنني انتصرت للأستاذ قطب — وأعود الآن فأنتصر للأستاذ خلاف في البيان الذي سلكه في الآيات الكريمة : « أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون ... الخ آيات سورة الأنبياء التي جاءت في هذا الغرض فإن الأستاذ الفاضل نهج في تحليلها نهجاً لم يسبقه إليه أحد من المفسرين . ذلك أنه حلل الآيات إلى مقاطع وجعل محدودة — كل مقطع فيه استدلال خاص — قد استوفت فيه الآيات أنواع الاستدلالات المنطقية والوجدانية — ولم تترك مؤثراً يؤثر في العقل والعاطفة إلا تناولته ، لو كان هؤلاء يعقلون . ومن الأسراف والشطط ألا يقر الأستاذ قطب هذا التفسير العلمي الحديث ، فما لا ريب فيه أن القرآن سلك في طرائق الاستدلال صوراً من المنطق فطرية سهلة تتناسب والعقلية العربية يومئذ .

(الاسكندرية) أحمد الاسيابي
مدرس بالبعثة الفرنسية

اليهود والعرب :

تطالعنا الصحف كل يوم بما يقوم به اليهود من أعمال العنف لجعل فلسطين وطناً قومياً لهم ، وقد وصلوا في ذلك إلى حد لا يقره تاريخهم القليل ، ولعل من أعجب ما قرأت في هذا الشأن ما نشرته بعض الصحف من أن عدداً كبيراً من اليهود اجتمعوا في جنوب إيطاليا ، وهم مصممون على دخول فلسطين

وقد لفتت هذه الجملة الأخيرة نظري ، ورجعت بفكري إلى عهد بعيد يوم ضاعت جهود النبي الكريم موسى بن عمران سدى في حمل بني إسرائيل على دخول الأرض المقدسة

ذكرت ما قصه علينا القرآن الكريم في هذا الشأن ، وما سجله عليهم من الخزي والضعف والجبن ، وكيف أنهم خافوا من سكانها الجبارة وقطعوا على أنفسهم عهداً مؤكداً أنهم لن يدخلوها ما داموا فيها : « وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ، يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا : يا موسى ، إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها ، فإنا داخلون . قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما : ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ؛ قالوا : يا موسى ، إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون » . وكتب الله عليهم التيه والمسكنة وباءوا بغضب من الله

ثم ذكرت مواقف البطولة التي وقفها أجدادنا العرب مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فآزروه ونصروه وما وهنوا في موقف من المواقف وما ضعفوا وما استكانوا ، وكيف أنهم وهبوا لدعوته أنفسهم فكانوا يقولون له : والله لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ؛ ولا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون . ولكنا نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إننا معكما مقاتلون !

ذكرت هذا وذكرت ذاك ، فأيقنت أن الفوز للعرب ، وأن اليهود سيجبنون كما جبن آباؤهم من قبل ، فإن دماء الآباء لا تزال تجري في عروق الأبناء ... !

علي محمد حسن
مدرس بالمعهد الأزهري

حول شعر حافظ الضائع

قرأت بالعدد الماضي كلمة الأديب عبد القادر محمود عن شعر حافظ الضائع ، التي أثبتها في الرسالة صوناً لها من الضياع ، ولكن هذه الأبيات السبعة ، نشرها الأستاذ حسين الهدى النشاشيبي ضمن مقالات له عن حافظ إبراهيم ، في جريدة كوكب الشرق ، وهذه الأبيات بالذات نشرت في أحد أعداد شهر يونيو سنة ١٩٣٣ ، مع قصيدة أخرى طويلة من نفس البحر والروي .

١ – خان الخليلي

[للأستاذ نجيب محفوظ]

٢ – سعد بن أبي وقاص

[للأستاذ عبد الحميد جودة السحار]

للأستاذ وديع فلسطين

— ١ —

الأستاذ نجيب محفوظ — كما يعرفه قراء « الرسالة » الزاهرة — شاب أوتي خيالا خصباً ، وعيناً نافذة ، وقلماً طيعاً ، ومداداً وفيراً ، فسخر هذه جميعاً في كتابة القصة وتصوير الحياة الراقية بما تنطوي عليه من نزعات متضاربات .

ومن أحدث ما جاد به قلم الفتى كتاب « خان الخليلي » الذي أصابه فيه توفيق كبير . وقد نهج في كتابة قصته الضافية الذيول النهج الذي التزمه الكاتب الكبير الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني في « ابراهيم الكاتب » . فالكتاب مقسم إلى خمسين فصلا ، كل منها صورة أحسن رسمها ، فلم تغب في إحداها خفقة قلب أو طرفة عين أو حركة لسان أو بسمة شفتين أو زفرة نفس ، لأن الأستاذ محفوظ سكب نفسه في كتابة كل منها سكباً ، وعاش في روايته فعرف شخوصها معرفة قرب ، وزامل أفرادها ففهم كلا منهم على حقيقته وأدرك ما انطوت عليه نفسه وما أسفرت عنه مظاهره . وربط بين فصولها بإحكام حتى لا ينفلت أحدها من القلادة المتعددة الحلقات التي وصلت بينها وأخرجت من مجموعها صورة نابضة بالحياة تنطق صريحة سافرة بأحوال حي من أحياء القاهرة القديمة يتردد عليه الأجانب للمتعة والمصريون للتبرك « بالحسين » .

والقصيدة الثانية ، والأبيات السبعة التي ذكرها الأديب عبد القادر ، موجودتان كذلك في كتاب الأستاذ الغنام عن حافظ إبراهيم في الصفحات ٥٥ — ٥٧ . وهذا الكتاب صدر بالاسكندرية سنة ١٩٣٥ .

فهذه الأبيات وإن لم تجمع في ديوان حافظ ، لم تضع . وقد نشر الأستاذ حسين غنام في كتابه كثيراً من شعر حافظ لا تجده في جزءي ديوانه .

عوضه الله فوزي اسكندر

من السيدة وداد سكاكيني إلى الأستاذ وديع فلسطين :

حضرة الأديب الفاضل :

بعد التحية . تلقيت « مسرحيتك »[1] القيمة بسرور وإعجاب ، وقرأتها متملية بدقة تعبيرك وبراعة ترجمتك ، وقلت : هذا أول قطرك فكيف بغيثك ؟

أرجو أن يكون لك في دنيا الأدب منزلة تليق بنبوغك ، فإن فتى يبني أدبه كما تبنى خليق بالمجد والإكبار .

وتقبل تهنئتي الخالصة بيا كورة آثارك مقرونة بتحيتي وشكري وإعجابي .

المخلصة

وداد سكاكيني

تصويب :

إني برغم جزعي من (التطبيع) . ورجائي كلما بعثت بمقالة مقابلتها على الأصل ، حتى كاد ذلك الرجاء يكون رسماً (كليشيه) دائما ، فقد وقع في مقالتي (الوسيق العاشق) في العدد (٦٣٩) من الرسالة ، هنات ، هذا تصويبها ، وإن تكن هينات :

ص	ع	س	خطأ	صواب
٥٧	١	٢	رحبته	رحبة
١٠٥٨	١	٥	تعلم	تعليم
»	١	١٩	أهدابها – لونها	أهدابهما – لونهما
١٠٥٩	١	١٢	لا أحب الذكرى	لا أحب أن أهيج الذكرى
»	٢	١	غبتَ	غبتُ

أما الذين ذهبوا يسألون عن (ش) يك هذا ، ويفتشون عن داره ... هل حسبوني أكتب تاريخاً ؟ إنما هي قبضة ...

علي الطنطاوي

(١) مسرحية الأب تأليف الكاتب السويدي أوجست ستريندبرج وترجمة وديع فلسطين — لجنة النشر للجامعيين .

إنها قصة عائلة مصرية متوسطة ، مرت من الغارات الجوية فانتقلت إلى حي خان الخليلي وأمضت فيه دورة كاملة من دورات الأرض حول الشمس ، شهد أوارها فيها عجباً . فالابن الكبير — أحمد عاكف — الذي كان يركن إلى مكتبته يقلب كتبها ويدرب نفسه عبثاً على درسها وهضمها ؛ طابت له عشرة أهل الحي والسهر معهم في قهوة الزهرة ، وخفق قلبه للحب وهو بعد كهل في الأربعين ، ولكن المقادير شاءت ألا ينعم بالفتاة التي يهوى والأليف الذي استحوذ على عواطفه وملك جنانه . ورشدي — الابن الأصغر — شاب حديث العهد بالتخرج في الجامعة ينقاد وراء دوافع بدنه فيغترف من اللذاذات غير عابئ بصحته التي ناءت بهذا الحمل وأخذت تتهالك تحت الضغط الشديد الذي يفرضه عليها . ولم يكتف بالحب الآثم ، بل سولت له نفسه الفتية أن يسطو على الفتاة التي كادت تصبح من نصيب أخيه أحمد ، ولكنه ظل سادراً في غيه ، سائراً في طرق ضلاله ، فأصيب بداء الدرن الرئوي وقضى نحبه — وهو الشاب المرح المفعم بالنشاط الدائب الحركة — ولم يستطع أبواه أو أخوه ، ولم يفلح الطب أن يحفظ زهرة حياته التي ما شرعت تتفتح حتى قطفت من كمها وطمرت بين أطباق الثرى .

والقصة التي دبجها الأستاذ نجيب محفوظ تمتاز بمزيتين عدا مزية الرواية نفسها . ففيها وصف رائع لليالي رمضان في حي خان الخليلي ، وفيها وصف للغارات الجوية التي تعرضت لها قاهرة المعز من ثلاثة أعوام ، وهي حقبة من الزمن لم يسبق لها مثيل في تاريخ مصر الغابر ، وعسى أن لا تتكرر في ما يجيء من السنين . والمؤلف قدير على جلو المعاني ، خبير بخوالج النفس ، استطاع أن يجعل من كتابه تزاوجاً بين السخرية والتهكم من ناحية ، والجد من ناحية أخرى . وجمع بين اللهو والمزاح والعبرة والدروس . وهو في هذا وذاك لا يخلو من فكاهة مستملحة ودعابة طريفة .

إنها الحياة في « خان الخليلي » كما هي بلا « رتوش » .

— ٢ —

أصدر الأستاذ عبد الحميد جودة السحار كتاباً مشرع الفصول عن « سعد بن أبي وقاص وأبطال القادسية » تتبع فيه سعداً منذ ما كان حدثاً يجري النبل حتى انطلقت روحه إلى بارئها وقد أشرف على الثمانين أو نحوها .

سيرة رجل كفاح ورجل حرب ، قاد جيوش المسلمين في معارك طاحنة فدمر الأعداء ، ودخل إيوان كسرى دخول المظفر المنتصر بعد ما هزم مملكة الفرس وأنزل بها أقسى الدمار . واستطاع سعد أن يتصدى لجيوش قوية بعضها معزز بعدد من الفيلة الضخمة ، وبعضها يتقدمه الأسود الضاريات ، غير أنه ما تهيب ولا جزع ، بل هجم عليها وبددها ، فسرت روح الهزيمة والهلع بين جنود العدو وردوا على أعقابهم مخذولين .

وسعد علاوة على ذلك ابن بار بوالدته مخلص لدينه الجديد . وعلى الرغم من أن أمه لم ترض له الخروج على دين آبائه وأجداده وهددته بالصوم عن الطعام إذا أوغل في « غيه » وتبع الدين الجديد ، إلا أنه استطاع بلباقة وحصافة أن ينتزع من بين حنايا أمه غضبها ، ويوفق بين شئون الدين والدنيا .

ثم هو صديق صدوق ، لطيف المعشر ، يوثق به ويعتمد عليه . شجاع لا يهاب القوة ، ولا يخشى الضيم ، سبّاق إلى المكرمات ، عدّاء في ميادين البطولة ، لا تلين له قناة ولا يفتر له عزم أو يصدُّ عن قرار اتخذه . وفيّ لخلانه وصحبه حتى إنه نهر معاوية لأنه شرع يسبّ علياً ، وأقسم يميناً مغلظة ألا يدخل داره مدى الحياة .

هذه الشخصية الفذة التي شهدت مولد الإسلام وعاصرت فتوته وأرست دعائمه وساهمت في نشر رسالته في بلدان شتى ، وهذا البطل القدام الذي رضي طوعاً بالجهاد والنضال والصراع والتشريد والتجريح والتعرض للأخطار ، وهذا المؤمن الذي لم يدخر وسعاً في البدن أو المال أو الوقت إلا أوقفه على خدمة دينه ، جدير ولا ريب بأن تسرد سيرته مفصلة ، وتنشر في أسلوب عربي بليغ وإحكام روائي صادق ، وتبويب زمني مرتب ، على أحفاد العرب الأولين .

وقد بلغ الأستاذ عبد الحميد السحار القمة في تبيان مناحي شخصيته الفريدة ووصف ميادين الوغى وأساليب القتال ومصارع الرجال . وفي ختام كتابه أورد السحار خلاصة وافية لحياة سعد ابن أبي وقاص عرضت في ذهن الشيخ سعد كما يعرض الشريط السينمي على الشاشة البيضاء ، فأغمض عينيه وقد اكتحلتا بنشوة الماضي وذكريات الشباب وأحداث الصبي ومجد الظفر « وانبهرت أنفاسه وخرج نفس ما عاد غيره ، فقضى سعد نحبه في قصره بالعقيق على مسيرة عشرة أميال من المدينة . ولما بلغ أهل المدينة خبر موته ، انطلق الرجال إلى داره وجهزوه ... وتوجهوا إلى البقيع ليقبروا آخر أهل الشورى ودمعهم جار وحزنهم عميق » .

وديع فلسطين

ظهر حديثاً كتاب :

دفاع عن الشريعة

للأستاذ

محمد حسين الذهبي

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة وثمنه ١٥ قرشاً

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية التى يشدها كل من يرمى إلى التوسع فى أعماله وكل تاجر يسعى إلى رواج تجارته .

وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد

ولزيادة الاستعلام اتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)